ملخص لمقرر مادة دعوة
غير المسلمين
إلى الإسلام
في المجتمع الإسلامي

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: أهمية الموضوع

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله الله على حين فترة من الرسل وانقطاع من الوحي فبلغ أحسن تبليغ وأكمله، وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم وبعد:.

فإن الذين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغهم رسالته هم العرب وغيرهم، لأن رسالته عامة إلى جميع البشر غير مقصورة على العرب.قال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) وجعل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم شهيدا على أمته وجعل أمته شهيدة على الناس، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) وقد ختم الله الرسالات برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فأكمل به الدين وأتم به النعمة، قال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..) فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده قال تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)، وقال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ولكي تصل رسالة الله تعالى إلى الناس جميعا في حياة رسول الله وبعد وفاته، أمر الله تعالى أمته بالقيام بهذا الواجب، قال تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، فكما جاء الرسول من عند الله معلماً ومبشرا ونذيراً، وكما أخرج الذين آمنوا من العمى إلى الهدى، فإن على أتباعه أن يدعوا إلى ما جاء به وأن ينشروا رسالته إلى أمم الأرض كلها.وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة ترغب في ذلك وتدعو إليه قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، وقال صلى الله عليه وسلم لعلي ابن أبي طالب - رضي الله عنه : فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدة خير لك من حمر النعم».وقد فهم السلف الصالح مدلول هذه النصوص الشرعية وغيرها، وعملوا بمقتضاها، وكان شعورهم بمسؤوليتهم تجاه هذا الدين هو شغلهم الشاغل في العسر واليسر، والمنشط والمكره، حتى انتشرت دعوة الإسلام في أنحاء الأرض. ثم مر على بلاد المسلمين عصور عاشت فيها الدعوة بين مد وجزر، ولكنها لم تخل في كل عصر من طائفة على الحق ظاهرة تدعو إلى دين الإسلام وتجاهد في سبيل الله. .

إن الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل جميعا صلوات الله وسلامه عليهم، وهي ميراث النبوة بعد انقطاع الوحي، قال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)، والدعوة إلى الله واجب منوط بأعناق الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات، وهي مناط شرفها في هذه الحياة . قال تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ). والبشرية في حاجة قائمة وملحة إلى الدعوة في كل عصر ومصر،وتشتد الحاجة في هذا العصر الذي نعيشه إلى الدعوة إلى الله وإلى استماع الناس كلهم إلى كلمات الله بسبب انحراف كثير من الناس عن فطرة الله وانغماسهم في الجهل والضلال.

لقد اجتهد الصحابة (رضي الله عنهم) ومن بعدهم من التابعين في نشر الإسلام وتبليغه إلى سائر الأمم، وكانوا يرون ذلك فرضا عليهم، فساروا في الأرض شرقا وغربا لأجل ذلك، ولم يكن الأمر مقصوراً على الجهاد والفتوحات بل كان التجار المسلمون يقومون بواجبهم في الدعوة ونقل الإسلام عبر سلوكهم ومعاملتهم لغير المسلمين، وكان من آثار ذلك أن دخل الإسلام أفواج كبيرة من الناس لما رأوه من حسن معاملة المسلمين لهم. وإذا كان المسلمون في السابق يتكبدون مشقة الأسفار إلى بلدان غير المسلمين للجهاد والدعوة والتجارة فإن أعدادا كبيرة من غير المسلمين اليوم قد جاءت إلى بلاد المسلمين، فما موقفنا إذا علمنا أن منهم من يعود إلى بلاده دون أن يبلغ دعوة الإسلام؟ ثم ماذا فعل المسلمون للذين يتطلعون منهم بكل شغف إلى التعرف على الإسلام. إن تبليغ دعوة الله للناس واستقبال الراغبين في الدخول إلى الإسلام ومن ثم الاهتمام والرعاية بكل مسلم جديد، وتعليمه أمور دينه إن هذا كله يجب أن يتم بطرق مدروسة بعيدة عن الاجتهادات الفردية ، كما يجب أن تجند له كل الإمكانات وتذلل سائر العقبات في سبيل تبليغ الناس الإسلام.

وإن مما يزيد هذا الموضوع أهمية مايلي:

ا- أن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وترغيبهم فيه يحقق مصالح عديدة منها:

أ- مايحصل من أجر ومثوبة نتيجة هذه الدعوة وفي الحديث الصحيح أنه قال لعلي رضي الله عنه «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

ب - تبليغ الرسالة قال تعالي:(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ)، والقيام بواجب الدعوة والبلاغ الذي فرضه الله على الأمة قال تعالى : { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) الآية. وقال صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية» .

ج. تفويت الفرصة على هؤلاء من نشر ثقافاتهم وعاداتهم وعقائدهم، فمن أنجح السبل للتصدي لخطرهم دعوتهم إلى الإسلام، ومالم تتم دعوتهم إليه فمن الممكن أن يكون لهم أثر خطير على المجتمع الإسلامي في عقيدته وأخلاقه وعاداته .

٢- ومما يزيد أهمية الموضوع الحصار الذي يقوم به النصارى للمجتمعات الإسلامية بهدف تنصيرهم، فقد توالى عقد المؤتمرات لأجل ذلك بدءا بمؤتمر القاهرة الذي دعا إليه زويمر) في عام 1324 هـ/ 1906م.. وحتى مؤتمر كلورادو الذي عقد في عام ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م، وحضره 150 فردا من أبرز قادة التنصير في العالم، وقدموا فيه 40 موضوعا يجمعها هدف واحد: كيف السبيل إلى تنصير المسلمين أينما كانوا؟ فإذا كان هذا هو موقف النصارى من المسلمين، وإذا كان معظم الوافدين إلى بلاد المسلمين من غير المسلمين هم من النصارى فإن في دعوتهم إلى الإسلام تحصينا للمجتمع وتعطيلا المخططات النصارى في بلاد المسلمين.

٣- أن إسلام غير المسلمين الوافدين يساعد كثيرا في نشر الدعوة في - بلدانهم عندما يعودون إليها.

4- أن الدعوة الحية هي التي تقتبس النور من مشكاة النبوة وتسير على نهجها وتعيش مع المجتمع وتهتدي إلى الداء الحقيقي ومواضع الضعف فيه ولعل هذه الدراسة أن توفق في تحقيق ذلك .

المبحث الثاني:

تعريف الدعوة وأقسامها

المدلول اللغوي للدعوة :

لفظة الدعوة هي إحدى الصيغ المصدرية للفعل الثلاثي (دعا)، وهذا الفعل - شأنه كسائر الأفعال - لا نملك تجاه معرفة مدلوله اللغوي إلا أن نرجع إلى معاجم اللغة العربية نستوضحها، ونسترشد بها فيما تدور عليه مادة الفعل الثلاثي المذكور.

وفي هذا المجال نجد أصحاب المعاجم اللغوية يقولون في مادة (دعا):

١- دعو: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك

٢- الدعوة: وتأتي بمعان عدة منها:الاستغاثة، الدعوة، المناداة، التسمية ، الزعم، الحلف، الدعاء إلى الطعام، الأذان، وفي الحديث: «الدعوة في الحبشة» قال ابن الأثير: «أراد بالدعوة الأذان جعله تفضيلا لمؤذنه بلال).وفي كتابه صلى الله عليه وسلم لهرقل «أدعوك بدعاية الإسلام» أي بدعوته وهي كلمة الشهادتين التي يدعى إليها أهل الملل الكافرة، وفي رواية بداعية الإسلام، وهي مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة .

٣- الداعية : صريخ الخيل في الحروب، ويطلق على المؤذن، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله .ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت فيه الهاء للمبالغة وجمعها دعاة

التعريف الاصطلاحي للدعوة:

تشغل التعريفات حيزاً من صفحات الكتب في مختلف فنون المعرفة، وربما أطنب البعض في التعريف، وأخل بغيره من القضايا العلمية الأخرى. والتعريف أو الحد هو: شرح لما دل عليه اللفظ بطريق الإجمال، وشرطه أن يكون جامعة لجملة أفراد المحدود، مانعة من دخول غيره معه).والدعوة مصطلح لا يحتاج إلى جهد كبير في تعريفه، بل لم يكن جهد السلف منصبا على تعريفه قديمة، وإنما نشأت الحاجة إلى تعريف الدعوة عندما أصبحت تخصصة علمية له علومه الخاصة به، وفروعه المنتسبة إليه، والمنبثقة منه، وذلك من مثل علم تاريخ الدعوة، وأصول الدعوة، ومناهج الدعوة، والخطابة وطرق التبليغ .. الأمر الذي يوجب على الباحثين ضرورة الاهتمام بتحديد المفهوم الاصطلاحي للدعوة عند الدعاة.على أنه يجدر بنا ونحن نتعرض لهذه القضية، أن نأخذ بعين الاعتبار ملاحظة د. عبدالله الشاذلي وذلك حين يقول: «لا ينبغي الإسراف في التعريفات والحدود، ولابد من التمييز بين الواضح الجلي وبين (الغامض المجهول»). وقبل أن نقوم باستعراض التعريفات الاصطلاحية من خلال كتب الدعوة، نود أن نشير إلى أنه لابد من الفصل بين التعريف المقصود، وهو الذي يقصد به صاحبه تعريف الدعوة، وبين التعريف غير المقصود، وهو الذي يأتي في ثنايا كلام المؤلف دون أن يقصد به حد الدعوة وتعريفها.

وبدون هذا الفصل ظهر من ينتقد بعض العلماء والكتاب في تعريفهم الاصطلاحي للدعوة، والذي لم يقصدوا به حد الدعوة وتعريفها.

الدعوة في اصطلاح الدعاة:

أولا:

هناك ثلاثة مصطلحات تدور حولها تعريفات الباحثين هي:

1- الدعوة الإسلامية، دعوة الإسلام.

٢- الدعوة إلى الإسلام.

٣- علم الدعوة

ولكل منها تعريف مستقل، وربما نشأ الخلط في التعريفات من عدم التفرقة بين هذه المصطلحات الثلاثة.

فالدعوة الإسلامية أو دعوة الإسلام تعني دين الإسلام كما قال تعالى :(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ).

أما الدعوة إلى الإسلام فإنها تعني العمل والجهد المبذول نشراًوتبليغا لمباديء الدعوة.

وأما علم الدعوة فهو إضافة المصدر العلم إلى الدعوة، وهو اصطلاح يشير إلى مايختص به تخصص الدعوة من مناهج دراسية دعوية، وبحوث علمية كذلك.

ثانياً:

يمكن تقسيم التعريفات الموجودة في البحوث والمؤلفات الدعوية باعتبار منهج أصحابها إلى مايلي:

١- فريق لم يعن أتباعه بتعريف الدعوة وحدها الجامع المانع، وإنما جاء ذكرها في ثنايا كلامهم عنها فأشاروا إليها في بعض معانيها).

٢- فريق عني اتباعه بالتعريف، ولم يفرقوا بين الدعوة الإسلامية بمعنى الدين والدعوة إلى الإسلام".

٣- فريق اهتم أتباعه بالتعريف، وفصلوا بين الدعوة وعلم الدعوة).

ثالثا:

عمد بعض المؤلفين في تعريفهم للدعوة إلى جعلها مقصورة على العلماء فقط

وسبب ذلك قصرهم للدعوة على القول فقط والأصل أن الدعوة كما تكون بالقول تكون بالفعل أيضا أي: القدوة والمعاملة، وهي ما يشترك فيه العلماء وغيرهم.

ولقد كان للدعوة بالقدوة والمعاملة الحسنة أثر كبير في تاريخ الدعوة الإسلامية، ودخلت أفواج كبيرة

إلى الإسلام لما رأوه من معاملة المسلمين لهم.

رابعا:

هذه التعريفات المذكورة تحوي في مضمونها مايلي:

1- موضوع الدعوة وهو الإسلام.

٢- كيفية الدعوة (طرقها ووسائلها).

٣- الهدف من الدعوة .

أي أنها تجيب على أسئلة ثلاثة هي:

إلى ما ندعو؟.

كيف ندعو؟ .

لماذا ندعو؟.

وأكثر التعريفات الموجودة لا تجيب على هذه الأسئلة مجتمعة، وإنما تجيب على سؤال أو سؤالين منها.

وربما كان التعريف الجامع هو الذي يحوي إجابة هذه الأسئلة الثلاثة أي يشمل:

١. موضوع الدعوة

٢- بيان كيفية الدعوة نظرية وعملية.

٣- بيان أهداف الدعوة وغاياتها.

وقد يكون تعريف أحمد غلوش أقرب التعريف وفاء بذلك، حيث : يقول،((إن الدعوة هي العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية الهادفة إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)) وهذا التعريف هو الذي يميل إليه الباحث ويختاره، ونظرا لأن هذا التعريف لم يتضمن غاية الدعوة فإنه يمكن أن يضاف إليه ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة».

فالدعوة علم يبحث في كيفية تبليغ الناس الإسلام ليفوزوا بسعادة الدارين

المبحث الثالث:

عالمية الدعوة

بعث الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل إليهم الكتب؛ ليقوموا بهداية الناس إلى صراط الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور فكان كل نبي يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وإلى الابتعاد عن مواطن سخط الله وعقابه .

وتعاقب الأنبياء (عليهم السلام) على الأمم، حتى ختم الله الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي فضله الله تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين، (وجعل له شرعة ومنهاجا أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين، كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجعلهم وسطا عدلا خيارا).

وكان الدين الذي ارتضاه الله لعباده هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، فهو دين الأنبياء وأتباعهم، ولا يقبل الله من أحد دينا سواه، قال تعالى: قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ).

فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد وإن كان لكل من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاج ولهذا قال : صلى الله عليه وسلم (الأنبياء إخوة لعلاّت، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد)، قال الإمام ابن حجر (رحمه الله): (معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع». فالأنبياء (عليهم السلام) كانوا يبعثون لغاية واحدة، هي دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وكان لكل نبي مرحلة زمنية محدودة، حتى إذا ما انقضت، بعث الله نبيا آخر، أما محمد صلى الله عليه وسلم فهو خاتم النبيين، ورسالته هي رسالة الخلود التي قدر الله بقاءها إلى أن تقوم الساعة، ويطوى بساط هذا العالم، فهي تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية، فليس بعد الإسلام شريعة، ولا بعد القرآن كتاب، ولا بعد محمد نبي»، ولم يسبق لأحد من الأنبياء قبل محمد أن أعلن أن رسالته هي الخاتمة، وأن لا نبي بعده، بل قد أخذ الله عليهم الميثاق أن يؤمن كل نبي بمن بعده قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) وكان إبراهيم عليه السلام يدعو ربه هو وابنه إسماعيل عليه السلام: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) كما جاء الإخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ)، وجاءت الإشارة به صريحة على لسان عيسى في القرآن الكريم (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ)، وإذا كان الأنبياء (عليهم السلام) لم يعلن أحد منهم أن رسالته هي الخاتمة، فإن أحدا منهم لم يقل إنه أرسل إلى الناس كافة، بل كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ)

أما محمد صلى الله عليه وسلم فإن الآيات القرآنية صريحة تامة بأنه أرسل إلى الناس كافة قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) وقال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)

ثم إنه ليكفي في الدلالة على عالمية الإسلام، أن دعوته لا توجه إلى جنس من الأجناس، ولا قومية من القوميات، وإنما توجه دعوته إلى الناس كافة، ولذلك لم يؤثر ورود الخطاب ب قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ). كخطاب يشير إلى العالمية والعموم.. لم يرد هذا الخطاب في القران الكريم إلا خاصا بدعوة خاتم الأنبياء.. قال تعالى مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)

وقال تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)

فهذه الآيات وغيرها تفيد صراحة أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، لا تختص بأمة دون أخرى، فهي تعم المعاصرين لنزول القران ومن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة ، بل إنها تشمل الجن مع الإنس باتفاق (جمهور العلماء)..

ومما يؤكد عالمية الدعوة الإسلامية أن في القران الكريم من = دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن، ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام»).

كما يؤكد هذه العالمية أيضا أن هذه التشريعات الربانية ، والتوجيهات القرآنية للرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن نصوص تتلى فقط بل إنه صلى الله عليه وسلم (باشر عملياً تنفيذ عالمية الدعوة بعد الحديبية، حيث أرسل إلى الملوك والأمراء في كل الأرض يدعوهم إلى الإسلام ويحملهم إثم أتباعهم إن لم يبلغوهم) .

إن التأكيد على عالمية الدعوة من الأمور المهمة، والضرورات الملحة، خاصة في هذا العصر الذي ما فتيء أعداء الدعوة يريدون قصر دين الإسلام على العرب، زاعمين «أنه دين جنس معين كاليهودية ، ويذكرون أن الاتجاه به إلى غير العرب خروج على طبيعة الإسلام ذاته»، وقد زعم بعض المستشرقين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلن في أول أمره أنه مبعوث إلى الناس كافة، وإنما فعل ذلك بعدما أتيح له الانتصار على قومه من العرب : وقد وقف أعداء الدعوة من المستشرقين وغيرهم عند آيات من القرآن مثل قوله تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، وقوله تعالى :(لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا)، وقوله تعالى: (لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ)، وذكروا أن الدعوة الإسلامية متجهة إلى عشيرة النبي * وإلى أم القرى مكة، وإلى البوادي حولها، وإلى العرب الذين لم يأتهم رسول من عهد إسماعيل (عليه السلام) ورأوا استنباطا من ذلك أن الإسلام خاص بالعرب

لقد غفل هؤلاء عن أن القرآن في بداية نزوله جاء يؤكد عالمية الدعوة وعمومها في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة القلم - وهي من أوائل مانزل من السورة المكية -: (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ)) وقوله تعالى - في سورة التكوير - وهي مكية أيضا - (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ)، ثم إن البداية بالأهل والعشيرة في الدعوة أمر طبيعي لا يتعارض ويتناقض مع صحة الدعوة أو امتدادها الواسع في كل زمان ومكان. وقد نزل من القرآن بعد ذلك قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا)

فما المفهوم لكلمة ومن حولها؟.

الواقع أن هذه الكلمة لا تخصص الدعوة بالجزيرة العربية. كما لا يخصص وصف القرآن بكونه عربية، لأن قوله تعالى: و تن خواه يمكن أن يشمل العالم كله كما أنه قد يضيق حتى لا يتعدى اليمن فمن أين التحديد ببلاد العرب فقط ؟.وكما قصر البعض دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على العرب فإن هناك من قالوا بأن رسالات الأنبياء السابقين عالمية ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)، وغفل هؤلاء عن كثير من الآيات القرآنية التي تنص على خصوصية دعوات الأنبياء السابقين عامة)، قال تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ)

ثم إن قوله تعالى: {وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (3) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ) لا تدل على عالمية دعوة اليهود والنصارى؛ لأن كلمة الناس تستخدم أحيانا بمعنى الأفراد المعدودين مثل قال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) وقوله تعالى : (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا))، فالناس هنا هم سكان الجزيرة العربية حيث إن الإسلام لم يخرج في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم عن شبه الجزيرة. كما غفل هؤلاء عن الأحاديث الصحيحة التي تبين خصوصية دعوة الانبياء مثل قوله صلى الله عليه وسلم:

(أعطيت خمسة لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي،وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)

ويمكن أن نستنتج من خلال النصوص القرآنية والنبوية السابقة ، أن من بين ماتتميز وتنفرد به الدعوة الإسلامية للنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم أنها دعوة عالمية، أما دعوة الأنبياء السابقين فلم تحظ بمثل هذه الخاصية ، وكذلك كانت دعوة موسى وعيسى عليهما السلام، حيث اتسمت شريعة كل منهما بالخصوص لا بالعموم، وبالتوقيت لا بالتأبيد، وبالمحلية لا بالعالمية، فاليهودية في بداية عهدها.. عصر موسى (عليه السلام)... دين خاص أرسل به الكليم إلى فرعون الطاغية وملئه المستكبر، لدعوتهم إلى عبادة الله رب العالمين وحده، وترك العظمة التي كان بدعيها الطاغية، وتقبلها حاشيته المستكبرة.. أيضا أرسل موسى (عليه السلام) إلى بني إسرائيل ليخلص أجسامهم من ذل العبودية للحاكم الطاغية بذل العبودية لله وحده، كما يخلص ويحرر وجداناتهم من الوثنية الشائعة آنذاك ليغرس في قلوبهم عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، واليهودية - في بداية عهدها أيضا - هي صاحبة التوراة الصحيحة والتي كان العمل بأحكامها مقصورة على بني إسرائيل وحدهم، لأن التوراة لم تنزل على موسى (عليه السلام) إلا بعد غرق فرعون وملئه. هذا هو شأن الدين اليهودي في بداية عهده، أما شأنه بعد ذلك، فهو دين يعلن - على سمع الزمان وبصره اقوميته وإقليميته ، وذلك لأمر نتبينه من إقرار التوراة وإصرارها - حتى بعدما اعتراها التحريف - على إقليمية الألوهية الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرة وإنه لمن المتعذر الاستشهاد بما يرشد إلى هذه الإقليمية لأن عبارات (إله إبراهيم وإله إسحاق وإله إسرائيل إله العبرانيين) تشيع بكثرة في أسفار التوراة وهذا ماجعل بعض الباحثين يقول: «إن تعاليم الربانيين كانت قد أقامت على الوعد الذي تلقاه إبراهيم، وعلى ميزة الاختيار التي كانت اليعقوب، عقيدة دينية قومية، فالله سبحانه وتعالى قد

أصبح في تلك العقيدة - وعلى وجه التقريب ألوهية قومية».ثم إذا تجاوزنا اليهودية إلى النصرانية، وجدنا الثانية لا تختلف عن الأولى في كونها ديانة خاصة.. إذ أن عيسى (عليه السلام) ماأرسل إلا لبني إسرائيل وحسب .. وهذا ما تقرره النصرانية الحاضرة حين ينص إنجيل متى على ذلك، بقوله على لسان عيسى: «لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل).وبهذا يتبين أن نصوص التوراة والإنجيل تؤكد أن دعوة موسى وعيسى (عليهما السلام) إنما جاءت خاصة بأقوامهم وليست عامة وشواهد التاريخ والواقع تؤكد أن اليهود مثلا لا يدعون أحدة إلى دينهم ويعتقدون أنه يخصهم دون غيرهم.

المبحث الرابع:

الحاجة الماسة لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام

منذ أن هبط نبي الله آدم (عليه السلام) إلى الأرض واستخلفه الله فيها بين الله له ولذريته طريق الهداية والرشاد وطريق الضلال والفساد، قال تعالى(قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ). وتتابعت رحمة الله على هذا الإنسان فأمدته بالرسل، وأنزلت عليه الكتب، حتى لا يضل ولا يشقى وحتى لا يكون للناس على الله حجة»، والناس في كل زمان ومكان لا يستغنون عن رزق الله ولا عن هدايته، هم فقراء إليه فيما يطعم أبدانهم من جوع وفيما يزكي أرواحهم من كدر، ومهما أوتي بعضهم من ذكاء أو صفاء فإنه لن يستطيع تدبير شأنه، وإصلاح أمره بعيدة عن وحي الله، وتعاليم أنبيائه الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الناس.

وإن الإنسان مهما بلغ علمه لا يستغني عن وحي الله (لأن العقل مهما اتسع أفقه وامتدت مدار كه فإنه لا يستطيع بلوغ المغيبات ومعرفتها على الوجه الصحيح) ولذلك فإن الحاجة إلى وحي الله وقيادة المرسلين لا تنقطع أبدا، فهم وحدهم يملكون اللغة الوحيدة التي تخاطب الفطرة وتوجهها الوجهة المستقيمة)

إن البشرية اليوم أحوج ما تكون إلى هداية الله ، فحاجة الناس إلى الدين اليست بأقل من حاجتهم إلى الشمس والهواء والماء والغذاء» ، فهم محتاجون الدين يضبط سلوكهم ويسيرون على هديه في حياتهم وينظمون علاقاتهم مع خالقهم ومع أنفسهم ومع مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة على أساس منه .. ولم يستقر لهم قرار ولم تستقم أحوالهم في فترة من الفترات على غير ذلك).

قال ابن القيم رحمه الله: (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون طبيب إلا في بعض المدن الجامعة .. وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفة، في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء، حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم، وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه، وحركات العباد الاختيارية ، فمبناها على الوحي المحض).

ولذلك كانت حاجة الناس ملحة في كل زمان ومكان إلى هداية الله ووحيه، وماضلت البشرية وازداد شقاؤها في كل وقت؛ إلا عندما اندرس الوحي ونسي الناس تعاليم الأنبياء وعطلوا العمل بها.

وعندما جاء الإسلام كانت البشرية في أشد حالاتها احتياجة إليه فكانت الآلهة تأخذ صورة شتى في حياة الناس، وكان الظلم قد بلغ ذروته على مستوى الجماعات والأفراد فالضعيف مسلوب الإرادة ، وكان العالم يتطلع إلى احضارة تنقذه من ويلات الخوف والرعب والخواء الخلقي ودنس الضمير، وتعيد إليه الطمأنينة والسكينة) . واليوم يتطلع العالم من جديد إلى من يهديه إلى الحق في عصر ساد فيه «الجفاف الروحي والانقطاع الرهيب عن الله رب العالمين،

والصدود الغريب عن تراث النبيين، وغلبة الأثرة والجشع على الأقوياء ورغم أن عالمنا المعاصر قد بلغ شأوا بعيداً في وثبته في أبعاد الكون وفي تقدمه العلمي في جميع المجالات إلا أن ذلك العلم وذلك التقدم لا يبعث على التفاؤل مالم يصحبه عود سريع إلى الله وإعزاز لامره وإعلاء الشرعه). ..

إن العالم اليوم في حاجة إلى دعوة عالمية تحترم قيمة الإنسان وتقدر كرامته وتحوطه بسياج اليقين وتطبعه على البر والرحمة في حاجة إلى دعوة تضع الأمور في نصابها وتأخذ الحق للضعيف وتنصر المظلوم وتشيع العدل بين الناس.

وحاجة العالم إلى ذلك هي حاجته إلى كل علم صحيح وإلى كل خطة صالحة، فالعالم محتاج إلى أن يعرف الله كما عرف نفسه إلى عباده قال تعالى :(كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) :

والعالم محتاج إلى أن يعرف محمدا صلى الله عليه وسلم وأن يدرس سيرته دراسة وافية بعيدة عن الافتراء والتزايد ؛ ليأخذ من سيرته أعظم درس فيما تستطيع المواهب البشرية بلوغه من خير وفضل، كما أنه محتاج أيضا إلى أن يدرك جملة الحقائق التي جاء بها الإسلام من عقائد و عبادات وأخلاق ومعاملات.

إن مما يؤكد ضرورة ذلك أن في العالم اليوم مايزيد عن أربعة آلاف مليون إنسان لا يدينون بالإسلام ومن هؤلاء ألوف مؤلفة لم تبلغهم الدعوة إطلاقا أو بلغتهم في صورة مشوهة.

إن معظم المسلمين اليوم تركوا الحق يخدم نفسه بنفسه، وينصر قضاياه اعتمادا على ما فيها من صواب إن هذا المنهج قد صد الكثيرين عن الإسلام فرغبوا عنه، ونفروا منه، وهم لا يعلمون من حقائقه وتاريخه شيئا يذكر .

وإضافة إلى ذلك فإن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام قد اضمحلت في نفوس معظم الناس بل هانت، ليس عند عامة المسلمين - بل عند بعض العلماء يقول أبو زهرة (من العلماء من يزعم أن التبليغ قد تم، وأن غير المسلمين عليهم أن يتعرفوا على الإسلام، ولسنا مسؤولين عن تعريفهم به) وهذه النظرة غفلت كثيرا عن واقع المسلمين اليوم،وبعد كثير منهم عن هدي الإسلام الصحيح، كما نسي أصحاب هذا

القول «أن تلفيق الشبه وتجميع الحيل يمكن أن يصد الجماهير عن نداء الإيمان ويعلق أبصارهم بخدع لا قيمة لها)

إن دعاة المسلمين لا يزالون مقصرين في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهم مسؤولون أمام الله عن هذا التقصير، فهم ورثة الأنبياء (عليهم السلام)، وهم مطالبون بأن ينشروا هداية الله إلى جميع الأمم.

ومادمنا نعتقد أن الإسلام رسالة عالمية، ومادام على وجه الأرض غير مسلم فإن أمانة تبليغ دعوة الإسلام إلى غير المسلمين تقع علينا نحن المسلمين بوجه عام وعلى الدعاة بوجه خاص". "

ولذلك فإن الضرورة ملحة إلى المصلحين والدعاة ، ليتابعوا تبليغ هذا الدين، ويؤدوا ماكلفوا به

من أمانة، وما أخذه الله عليهم من عهد، فالعالم كله اليوم في أشد الحاجة إلى ما يبصره بدين الإسلام، وإلى ما يعلمه أحكامة العادلة، وتعاليمه السمحة، ومحاسنه التي لا تحصر").

وإذا كان المسلمون مسؤولين عن تبليغ الإسلام إلى غير المسلمين ودعوتهم إليه في كل مكان، فكيف بالذين وفدوا منهم إلى بلاد المسلمين في العصر الحاضر وهم ألوف مؤلفة، وبعضهم يمكث سنين طويلة بين المسلمين دون أن تصله دعوة الله ، مما يؤكد أن على المسلمين أن يبذلوا الوسع في تبليغهم، وأن تتظافر جهود العلماء في التأكيد على ضرورة هداية غير المسلمين إلى الإسلام وبيان محاسنه لهم قولا وعملا، واغتنام فرصة وجودهم، فقد يرجع هؤلاء بعد فترة قصيرة من قدومهم إلى بلاد المسلمين، وهم لم يسمعوا كلام الله ولم يعرض عليهم الإسلام، وهذا أمر له خطره وضرره، فإن هذه الأمة مأمورة بالبلاغ في نصوص كثيرة من القرآن والشنة، سيأتي الحديث عنها في المطلب التالي، وهي كذلك منهية عن ترك البلاغ لئلا يصيبها ما أصاب الأمم من قبلها قال تعالى : { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

ثم إن مما يؤكد ضرورة دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، أن غير المسلمين باتجاهاتهم وثقافاتهم وعاداتهم وتقاليدهم يؤثرون على المسلمين، وبالتالي فإن دعوتهم إلى الإسلام ومن ثم دخولهم فيه يقلل من هذا الخطر.

المبحث الخامس:

أصناف غير المسلمين والحكمة من بقائهم في بلاد المسلمين

لما قضى الله سبحانه وتعالى وقدر أن لا يؤمن الناس كلهم، وجعل الحق والباطل يتصارعون في هذه الحياة، وقدر بقاء الكفر إلى أن يشاء سبحانه وتعالى، وله الحكمة التامة في ذلك قال تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) وقال تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ)" وقال تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ) ولا يتصور مع بقاء الكفر في الأرض أن ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، فقد نظمت شريعة الإسلام علاقة المسلم بالمسلم، وعلاقته بغيره من بني جنسه أفرادا وجماعات، ووضعت الضوابط الكاملة في ذلك داخل المجتمع الإسلامي وخارجه. وعندما قام النبي * بدعوة الناس إلى دين الله امتثالا لأمر الله تعالى بقوله : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)، آمن به من آمن وأعرض عنه آخرون، وبقوا على ملتهم، وقد نظم الإسلام علاقاته بهم ووضع الضوابط في التعامل معهم، وقد تناول الفقهاء التعريف بأصناف غير المسلمين في كتبهم وأفاضوا في بيان أصنافهم، وأفاضوا في بيان حقوقهم وواجباتهم على نحو ما سأذكره إن شاء الله .

أما أصناف غير المسلمين بالنسبة لدار الإسلام فهم صنفان:

أهل حرب، وأهل عهد.. .

ومجال هذا البحث من أهل الصنف الثاني، وهم أهل العهد وينقسمون إلى ثلاثة أقسام: .

قال ابن القيم رحمه الله): «وأهل العهد ثلاثة أصناف : أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان، وقد عقد الفقهاء لكل صنف بابا فقالوا: باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة. ولفظ الذمة والعهد يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، وكذلك لفظ الصلح فإن الذمة من جنس لفظة العهد والعقد، وقولهم: «هذا في ذمة فلان، أصله من هذا أي في عهده وعقده.. وهكذا لفظ الصلح عام في كل صلح، وهو يتناول صلح المسلمين بعضهم مع بعض وصلحهم مع الكفار، ولكن في اصطلاح كثير من الفقهاء

«أهل الذمة» عبارة عمن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله،

بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم سواء كان الصلح على مال أو غير مال، ولا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة.

وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام رسل، وتجار، ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن فإن شاؤوا دخلوا فيه، وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة من زيارة وغيرها، وحكم هؤلاء أن لا يهاجروا، ولا يقاتلوا، ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به ، ولم يعرض له قبل وصوله إليه فإذا وصل مأمنه عاد

حربيا كماكان)..

وفي ضوء ماسبق، تكون أصناف غير المسلمين المقيمين في دار الإسلام ثلاثة: معاهد ومستأمن وذمي،

والفرق بينهم

أن المعاهد هو من أخذ عليه العهد من الكفار والمستأمن هو من دخل دارنا منهم بأمان،

والذمى من استوطن دار الإسلام بتسليم الجزية".

. وتختص جزيرة العرب بعدم جواز بقاء غير المسلمين فيها بقاء دائما، فلا تعقد لهم الذمة فيها وإنما يفدون إليها بعقد أمان عند الضرورة والحاجه.وعلى ذلك

فالمستأمن اليوم هو من قدم بإذن خاص وهو مايسمى تأشيرة دخول، وعلى ضوء عقد أمان للقيام بعمل أو قضاء حاجة ، والأمان من نظم الإسلام الدالة على سماحته، حيث يبيح للمستأمن الدخول في دار الإسلام لأغراض متعددة ويوجب على المسلمين حمايته مادام في دار الإسلام.

وإقامة المستأمن في بلاد الإسلام إقامة مؤقتة، بخلاف عقد الذمة فهو يقتضي إقامة مؤبدة ولذلك فالمستأمن ليس من دار الإسلام حيث لا يحق له الإقامة الدائمة بها بخلاف الذمي فهو من أهل دار الإسلام، وهنا نلفت الأنظار إلى مجانبة الصواب في الرأي القائل : اللمستأمن أن يدخل ديار الإسلام ويقيم فيها إقامة دائمة ومؤقتة).

هذا ومن حق المقام علينا أن نذكر بأن عقد الأمان ينتقض بالاعتداء على مسلم بقتل، أو زنا، أو قذف، أو تجسس، أو إيواء جاسوس، أو ذكر الله ورسوله وكتابه بسوء".

أما عن أصناف غير المسلمين بالنسبة للدعوة فهم ثلاثة أصناف :

الأول : من بلغتهم الدعوة الإسلامية واضحة بينة وعلموا كل شيء عن الإسلام ورسوله بواسطة الدعاة أو المجاورة أو المخالطة أو غيرذلك ، وهؤلاء مسؤولون يحاسبون إن لم يقبلوا دعوة الإسلام | ويدخلوا فيه، ويتوعدون بالنار إن ماتوا على كفرهم

الثاني: من لم تبلغهم الدعوة الإسلامية أصلا ولم يعلموا شيئا عن الإسلام ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء غير مؤاخذين وحكمهم حكم أهل الفترة، ولكنهم يلقون بالتبعة على المسلمين في عدم تبليغهم الإسلام، لا سيما في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل التبليغ واقتربت فيه الأمم من بعضها البعض، فحق على أهل الإسلام أن يوصلوا دعوة الله إلى كل احد

الثالث : وهم من علموا بالدعوة الإسلامية وسمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بصورة مشوهة منفرة، كأن يقال : إن كذابا مدلسا ادعى النبوة ، وإن الإسلام دين الرجعية والتخلف، فهذا حكمه حكم أهل الفترة أيضا لأن ما يعلمه كعدمه

، قال الشيخ محمد بن عثيمين : «إذا كان الرجل لا يسمع عن الإسلام إلا شيئاً مشوهة، وأنه ليس بدين وأنه نحلة انتحلها رجل من الناس فهذا حكمه حكم أهل الفترة، يعامل ظاهرة على أنه على دينه الذي هو عليه، وفي الآخرة أمره إلى الله)

أما أصناف غير المسلمين بالنسبة لدياناتهم فإنهم ينقسمون إلى قسمين:

الأول: أهل الكتاب.

والثاني: المشركون وهم كل من يدين بالشرك والكفر وليس لهم كتاب سماوي.

وقد كان مشركوا قريش هم الجبهة الوحيدة التي وقفت في وجه الدعوة الإسلامية في مكة وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة واجه الدعوة خصوم آخرون منهم المنافقون ومنهم اليهود والنصارى الذين وصفهم القرآن بأهل الكتابوأهل الكتاب وإن كانوا يشتركون مع غيرهم من المشركين في الكفر والشرك إلا أنهم يتميزون عنهم بأنهم أهل كتاب سماوي، ولذلك جاءت آيات القرآن تخاطبهم باسمهم وتبين لهم طريقا في الدعوة يختص بهم دون غيرهم.

وقد اختلف العلماء في بيان المراد باصطلاح أهل الكتاب على عدة أقوال:

فالأحناف يرون أن كل من اعتقد دينا سماوية وله كتاب منزل كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وزبور داود فهو من أهل الكتاب

أما الحنابلة والشافعية فيرون أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى فقط، واستدلوا لذلك بقوله عز وجل : (أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا) ويستنتج من ذلك أن العلماء لم يختلفوا قط في اليهود والنصارى وأنهم من أهل الكتاب، ولكنهم اختلفوا فيمن عداهم من أصحاب الكتب السماوية.

والذين يخرجون غير اليهود والنصارى من مسمي أهل الكتاب يعللون ذلك بأن كتبهم تلك كانت مواعظ وأمثالا لا أحكام فيها، فلم يثبت لها حكم الكتب المشتملة على الأحكام). ويعلل بعض المعاصرين ذلك بقوله: «وإذا نظرنا إلى واقع الحال والاصطلاح الشرعي لا نجد فرقة تدين بصحف إبراهيم أو زبور داود، ولم يتعامل المسلمون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ومن بعدهم مع طائفة من هذا النوع)

وفي هذين التعليلين نظر من عدة وجوه:

١- أن كتب غير اليهود والنصارى وإن كانت تحوي مواعظ وأمثالا، فإن هذا لا ينفي عنها احتواءها على التشريعات التي قد تكون تعرضت للتحريف والتبديل.

٢- أن طائفة من العلماء يرون بأن الصابئة فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور، فقد ذكر ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ)، عن جماعة من العلماء أن الصابئين هم فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور، ويسكنون شمال العراق).

أما المجوس فاختلف العلماء فيهم على قولين :

الأول: أنهم أهل كتاب وهو قول الشافعي وابن حزم

الثاني : أنهم ليسوا أهل كتاب وهو قول جماهير العلماء واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا) فلو كان المجوس اهل كتاب لكان أهل الكتاب ثلاثة طوائف .

قال ابن قدامة: «ليس للمجوس كتاب ولا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم نص عليه أحمد)

قال : وأما ما روي أن حذيفة بن اليمان تزوج بمجوسيه فلا يثبت، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (سنوا بهم سنة أهل الكتاب، دليل على أنه لا كتاب لهم وإنما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم حقن دمائهم وإقرارهم بالجزية لا غير .

ولذلك فالمجوس لا يدخلون في مسمي أهل الكتاب، وهذا المسمي يختص بأصحاب الدين السماوي المنزل من عند الله، وهل يقتصر هذا الاسم على اليهود والنصارى دون غيرهم، هذا هو الذي أراه أقرب للصواب للآية المتقدمة والله أعلم. إن نداء اليهود والنصارى با «يا أهل الكتاب فيه تشريف لهم : بإضافتهم للكتاب، وبعث لهم على قبول ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم لأنه جاء - بكتاب وهم أهل كتاب، واحتجاج عليهم بأن الإيمان بالكتاب الذي عندهم يقتضي الإيمان بالكتاب الذي جاء به لأنه من جنسه . كما أن فيه ميزة لهم عن غيرهم من الوثنيين ونحوهم وقد جاء هذا الوصف مرة على وجه اللين والتلطف لهم، والمدح والثناء لمن يستحقه منهم، وجاء أحيانا على سبيل التأنيب لهم والتوبيخ، والذم لأخلاقهم ومسالكهم الرديئة وعدم انضوائهم تحت راية الشريعة الإسلامية السمحة).

الحكمة من بقاء غير المسلمين في المجتمع الإسلامي :

من سماحة هذا الدين أنه أذن لخصومه أن يعيشوا في أرضه مع بقائهم على دينهم وعدم إكراههم على الإسلام، ولم يبخل عصر من العصور من وجود غير المسلمين داخل المجتمع المسلم، يعيشون بين المسلمين، وينعمون بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ولا يعني بقاءهم داخل المجتمع المسلم بأي وجه من الوجوه الرضا بما هم عليه من الكفر بالله ، فإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر،

وإنما أذن الشارع لهم بالبقاء لحكم عديدة منها: .

1- أن يخالطوا المسلمين ويتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه وينظروا فيها، فيجدوها مؤسسة على ماتحتمله العقول وتقبله، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام، ويرغبهم فيه، فيدخل في الإسلام بعضهم وهذا أحب إلى الله من قتلهم، والمقصود من ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله).

٢- إن عدم اختلاطهم بالمسلمين يفوت هذه المصلحة، وهي معرفتهم بالإسلام قال السبكي (رحمه الله): «وعدم اختلاطهم يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام، ألا ترى من الهجرة إلى زمن الحديبية لم يدخل في الإسلام إلا قليل، ومن الحديبية إلى الفتح دخل فيه نحو عشرة آلاف؛ لاختلاطهم بهم للهدنة التي حصلت بينهم فهذا هو السبب في مشروعية عقد الذمة)

٣- إن المخالطة بهم سبب رئيس في إسلام أهل الكتاب بصفة خاصة؛ لأنهم يشهدون بأصل النبوات واليوم الآخر، وفي كتبهم ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم وصفاته والبشارة به.

4- ومن الحكم ماذكره ابن الجوزي (رحمه الله) من أن وجود أهل الكتاب وتعبدهم وحفظهم شرع نبيهم عيسى ليس ببدع من الرسل، فقد. اجتمعت الجن وهم على إثبات الصانع والإقرار بالرسل، فبان أننا ما ابتدعنا ما لم يكن

5- ومن الحكم أيضا أنهم يصبرون على باطلهم ويؤدون الجزية، فكيف لا نصبر على حق والدولة لنا

6- ومن الحكم الاستفادة من خبرات غير المسلمين وطاقاتهم،وقد جاء في كتاب عمر بن عبدالعزيز (رحمه الله) إلى عدي بن أرطاه (أما بعد فإن الله سبحانه إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر عتيا وخسرانا مبينا، فضع الجزية على من أطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض، فإن في ذلك صلاحا لمعاش المسلمين وقوة على عدوهم).

ومن الأمور التي جاءت تبعا لبقائهم، الجزية التي تؤخذ من غير المسلمين الذين يرغبون بالبقاء الدائم في بلاد الإسلام، ولم تكن الحكمة من بقائهم الرغبة في أموالهم قال النووي: «وليس المقصود من عقد الذمة تحصيل المال عن طريق الجزية»)، لكن هذه الجزية جاءت جزاء لإصرارهم على الكفر، وهي أيضا مقابل حماية المسلمين لهم في دار الإسلام، ولذلك فإن الجزية في بلاد الإسلام مصدر مالي غير مقصود بذاته من غير المسلمين، وعلى ذلك يحمل قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث قال: «أوصيكم بذمة الله فإنهم ذمة نبيكم ورزق عيالكم). أي: ما يؤخذ منهم من الجزية والخراج، قال في الفتح: فيه حسن النظر إلى عواقب الأمور والإصلاح المعاني المال وأصول الاكتساب).

إن الاستفادة من جهود غير المسلمين وخبراتهم في المجتمع الإسلامي ليست وليدة العصر الحاضر، فلا يتصور بقاء غير المسلمين في ديار الإسلام دون أن يكون لهم أثر في الحياة العامة.

ولو نظرنا إلى التاريخ لوجدنا أن غير المسلمين قد تخصصوا ببعض الأعمال في المجتمع الإسلامي، فبالإضافة إلى الذين يعملون منهم في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، فإن هناك منهم الصيارفة في الشام والعراق وكان معظمهم من اليهود، كما أن منهم الأطباء، وكان معظم أطباء الخلفاء في العصر العباسي من النصارى، كما أن معظم المترجمين في العصر العباسي نصارى أيضا، وكان منهم أيضا الأدباء والشعراء والعلماء)

المبحث الثاني

حكم الدعوة على العلماء

في دين الإسلام يختص العلماء دون غيرهم بمسؤولية عظمى تجاه المجتمع، قياما بحق ميراث الأنبياء الذي يسعد به علماء المسلمين عامة، والدعاة منهم خاصة، وذلك بعض مايفهم من قوله صلى الله عليه وسلم : (وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثواالعلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

. إن هذا الحديث يبين عظمة المنزلة التي يتبوءها العلماء فهم ورثة الأنبياء؛ بما يعلمون الناس من الخير ويحذرونهم من الشر، ويرشدونهم إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة.

ولقد قام علماء الإسلام عبر التاريخ بدور كبير في حراسة المجتمع، ونشر الفضيلة فيه، وكان لهم دور عظيم في التعريف بدين الله والدعوة إليه، وكان علماء المسلمين ولا يزالون أداة إصلاح للناس كافة، وفي أقوالهم وتوجيهاتهم ومواعظهم صقل للنفوس، وجلاء لما علق بها من عوالق الشر والفساد). .

1- إن العلماء مطالبون في كل مجتمع أن يقوموا بواجبهم فيه دعوة وتعليما، إرشادا وتوجيها، وإن هم تخلفوا عن ذلك فقد عرضوا المجتمع للهلاك والعقاب (فالناس بلا علماء في جهالة عمياء تعصف بهم رياح الباطل وتتخطفهم شياطين الإنس والجن، وبغيابهم تسود الفوضى، وتعظم الفتن وتحل المصائب).

2- وفي مجال دعوة غير المسلمين فإن العلماء مكلفون بدعوتهم إلى الإسلام كل في مجال تخصصه، وحسب استعداده فالفقيه، والمفسر، والمحدث، واللغوي، والمؤرخ، والطبيب، والمهندس، كل عليه أن يدعو في دائرة اختصاصه، وأن يقدم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره) .

3- فالدعوة واجبة على العلماء، والذين قالوا بأن الدعوة فرض كفاية احتجوا بأن الدعوة تحتاج إلى علم فأسقطوا الوجوب عن العامة، ولم يسقطوه عن العلماء.

4- ومع وجوب الدعوة على العلماء، فإن النصوص من الكتاب والسنة جاءت تحذرهم من الكتمان وتحملهم مسؤولية التبليغ، فهم ورثة الأنبياء قال تعالى: .(إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية :(وفي هذا تحذير " للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا)..

5- وقد توعد الله عز وجل الذين يكتمون آياته البينات بوعيد شديد فقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ

ففي هذه الآيات تحذير ووعيد لكل الذين يكتمون الحق الذي يعلمونه ويشترون به ثمنا قليلا.

6- إن مئات الألوف من غير المسلمين في بلاد الإسلام يتحدثون بلغات شتى، معظمهم لا يحسنون

التحدث باللغة العربية، ومع ذلك لهم اتجاهاتهم وتصوراتهم في الحياة، منهم أهل الكتاب ومنهم وثنيون يعبدون آلهة شتى، وربما كان لدى كثير منهم صورة مشوهة عن الإسلام، وكل ذلك يحمل على القول بأن العلماء وحدهم هم الذين يملكون القدرة على إقناعهم بالحق، وإزالة الشبه العالقة بأذهانهم والرد على تساؤلاتهم وجدالهم بالتي هي أحسن.

وإذا كان العامة يستطيعون دعوة المسلمين والعصاة فيما هو ظاهر، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، فإن الأمر في دعوة غير المسلمين يختلف، فالعلماء وحدهم هم الذين يستطيعون دعوة جميع أصناف المدعوين من المسلمين وغيرهم.

ولذلك كان على العلماء من الواجب أكثر من غيرهم (وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى من استطاعوا من الأقطار، حسب الإمكان بالطرق الممكنة، وباللغات الحية التي ينطق بها الناس .

7- وعدم معرفة لغة المدعوين لا يقف حاجزا أمام الدعوة، وهو ليس حجة في القعود عن نشرها وتبليغها، فإن من الممكن الاستعانة - بعد الله تعالى - بالمترجمين في ذلك.

وإن معرفة اللغة بدون علم لا تجدي شيئا في الدعوة، إذ ليس المقصود من الدعوة أن يبلغ المدعو تبليغة عابرة، بل لابد من شرح أبعاد الدعوة وتفسيرها إذا اقتضى الأمر ذلك، وهذا يجعل مسؤولية العلماء في الدعوة ووجوبها عليهم أكثر من غيرهم.

و قال ابن تيمية رحمه الله) عند قوله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) قال : قد علم أن المراد أن يسمعه سمعا يتمكن معه من فهم معناه، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي لوجب أن يترجم له مايقوم به عليه الحجة، ولو كان عربية وفي القرآن ألفاظ غريبة ليست من لغته، وجب أن نبين له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس، ولم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره له، ونبين له معناه فعلينا ذلك، وإن سألنا عن سؤال يقدح في القرآن أجبناه عنه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أورد عليه بعض المشركين أو أهل الكتاب أو المسلمين سؤالا يوردونه على القرآن فإنه كان يجيبهم عنه).

فمن ذلك عندما نزل قول الله تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ). قال عبدالله بن الزبعري: نحن إنما نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح فاحتج بذلك وظن أن احتجاجه صحيح، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته،) وأنزل الله تعالى ردا على ذلك قوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ).

إن كلام شيخ الإسلام - المتقدم - يبين أن مهمة الدعوة ليست مهمة سهلة يسيرة، بل تحتاج إلى صبر ومصابرة وتحتاج إلى علم بهذا الدين وأصوله وفروعه. فالرد على اعتراضات المشركين والإجابة عن تساؤلاتهم، وتعريفهم بأحكام هذا الدين وشرائعه - كل ذلك - جزء من

مهمة التبليغ ونشر الدعوة الذي كلف به العلماء وفرضه الله عليهم. فهل تكون الدعوة إلى الإسلام لغير المسلمين مختصة بالعلماء وحدهم أم أن العامة الناس أن يدعوا إلى الإسلام؟ هذا ما سأعرض له في المبحث التالي:

المبحث الثالث:

حكم الدعوة على عامة الناس

لما كان العامة من الناس لا يملكون العلم الذي يوصلونه إلى المدعوين من غير المسلمين، فلا يمكن أن يكون القول بإيجاب الدعوة عليهم تجاه غير المسلمين على الإطلاق صائبا ولا مناسبا قال تعالى : (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) :

ويجب أن نفرق في حكم الدعوة بين دعوة المسلمين ودعوة غير المسلمين، فالعامة تكون دعوة المسلمين عليهم واجبة فيما هو ظاهر لا خلاف فيه كالصلاة والصوم في جانب المأمورات، والزنا والسرقة في جانب المنهيات، أما في حكم دعوة غير المسلمين على العامة فيختلف الأمر.

* إن مطالبة العامة بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام قد يكون ضرره على الدعوة أكثر من نفعه، فهم لا يملكون من العلم مايؤهلهم للدعوة، ولا يعرفون أساليب الدعوة وطرقها، وربما أغلظوا في موضع اللين، أو الانوا في مواضع الشدة، كما أن العامة من الناس ليس لديهم إلمام بما يعتقده غير المسلمين من تصورات ومالديهم من ثقافات واتجاهات.

وربما أورد غير المسلمين عند دعوة العامة لهم من التساؤلات والشبهات ما لا يملك العامة الإجابة عنه، وربما تأثر العامة من ذلك وانقدحت تلك الشبهات في عقولهم وأثرت فيهم بعد ذلك. وإذا كان الأمر كذلك فهل تكون دعوة غير المسلمين واجبة على العلماء فقط؟ وهل عامة الناس ليس عليهم واجب في الدعوة؟

*إن المتأمل في الأحداث التاريخية للدعوة يجد أن درعاة الإبل من الصحابة والتابعين كانوا يدعون كل أحد إلى الإسلام حتى الملوك والأمراء»، كما أن من أهم العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام، أولئك الذين اقتدوا بالنبي صلى الله عليه وسلم نفسه، فجاهدوا في سبيل إدخال الناس في دين الله، وقد قام أصحاب الحرف والصناعات كل بحسبه بدورهم في نشر الدعوة، ولم يكن نشر الإسلام من عمل الرجال وحدهم بل لقد قامت النساء المسلمات أيضا بنصيبهن).

وإذا كان العلماء يملكون الدعوة بالقول والعمل، فإن العامة و يمكنهم الدعوة بالعمل والسلوك، فالدعوة بالقدوة الحسنة أمر لا يستطيعة العلماء فقط، بل عامة الناس أيضا، لا سيما أن كثيرا من غير المسلمين يختلطون بالعامة، أكثر من الاختلاط بغيرهم، وذلك راجع إما لطبيعة أعمالهم حيث إن كثيرة منهم من العمال، وإما لتعاملهم معهم في البيع والشراء وسائر أنواع الاتصال.

*إن كثيرة من أفعال الخير (تعرفها الفطرة، وتعلمها الطبائع الإنسانية بحكم جبلتها) وفي غريزة البشر حب المشاركة في الخير فإغاثة الملهوف وإرشاد الضال، ونصرة المظلوم، وغير ذلك من أفعال الخير، وصور البر التي تمثل الجانب العملي في أساليب الدعوة وطرق التبليغ، أمر ليس مقصورة على العلماء وحدهم، وإنما هو أمر تتسع دائرته لجهود عوام المسلمين أيضا.

ولقد اهتدى إلى الإسلام كثير من الناس بسبب المعاملة الحسنة،والسلوك الحميد من خواص

المسلمين وعوامهم، وكثيرون - هم أيضا . الذين انصرفوا عن الإسلام ونفروا منه لما رأوا من معاملة سيئة، وهضم للحقوق، وإغلاظ في القول والمعاملة، من بعض المنتسبين للإسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما بعثهما إلى اليمن: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا) .

*إن من حكمة بقاء غير المسلمين في ديار الإسلام ترغيبهم في الإسلام بما يرونه من تعامل أهله وسلوكهم، والعامة لهم نصيب كبير في هذا المجال، كما يكون عليهم تبعات الالتزام بمباديء الإسلام.

إن العامة إذا كانوا غير قادرين على دعوة غير المسلمين بالأسلوب النظري المرتبط بالمناهج الدعوية المدروسة، فهم قادرون على دعوتهم بالأسلوب العملي الناجم عن ضرورة التزام كل مسلم - عاميا كان أم غير ذلك بتعاليم الإسلام عقيدة وشريعة، وهذا بالإضافة إلى أن عوام المسلمين قادرون أيضا على تحريض العلماء، وحثهم على دعوة غير المسلمين، كما أن كثيرا من العامة قادرون على المساهمة في تمويل المشاريع التي تخدم دعوة غير المسلمين.

ولذلك يرى الباحث أن قصر الوجوب في حكم دعوة غير المسلمين على الدعوة بالقول يضيق دائرة الوجوب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)

والدعوة ضرب من ضروب الجهاد، وهذا الحديث يوسع دائرة الوجوب لتشمل العلماء والعامة كل حسب استطاعته وقدرته .

ثم إن بعض الباحثين عندما يخوضون في حكم الدعوة ويأتي كل فريق منهم بأدلة يؤيد بها رأيه قد يغفلون أحيانا أن الهداية ليست كلمات تقال ثم ينتهي الأمر عند ذلك، بل هي بيان وعمل، وإننا إن أوجبنا الدعوة على العلماء بما خصهم الله به من علم فإن عامة الأمة يجب عليهم أن يكونوا عونا على قبول الدعوة لا على ردها، وهذا جزء من الدعوة يقدر عليه العامة، وإلا فماذا يجدي عمل الدعاة إذا كانوا يبينون الغير المسلمين محاسن الإسلام ويرغبونهم في اعتناقه ثم يقابلهم عامة المسلمين بتنفيرهم عن الإسلام بما يسلكونه معهم من تعامل، ولذلك فإن على العلماء أن يبينوا حقيقة وجوب الدعوة على الأمة كلها وأنها واجب على كل أحد وما تخلف اليوم من تخلف من غير المسلمين عن الدخول في الإسلام إلا عندما رأوا أفواجا من المسلمين لا يمتثلون الإسلام بل وينفرون منه، وهؤلاء مسؤولون أمام الله عن تقصيرهم في : حق غير المسلمين.

* إن البلاغ كما يكون بالقول يكون بالعمل ولقد كان نصيب الصحابة رضي الله عنهم) ومن بعدهم من التابعين كبيرة في هذا المجال ولم يكونوا جميعا يدعون بالقول والعمل وإنما كان البعض منهم ولكنهم كانوا جميعا يمتثلون الإسلام سلوكا في حياتهم ومعاملاتهم وهذا تبليغ للإسلام لا شك، لذلك فإن الباحث يرى أن الدعوة واجبة على كل أحد في كل زمان ومكان كل بحسبه وقدرته والله أعلم، ولعل من المناسب لهذا المقام أن يستأنس الباحث بقول د. عبدالكريم زيدان تحت عنوان الدعوة إلى الله بقدر حال الداعي وقدرته) حيث يقول: «وإذا تبين أن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم، فإن هذا الواجب يتحدد بقدر حال الداعي وقدرته، لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره، فمن لا يقدر لا يجب عليه، ومن يقدر فالوجوب عليه بقدر

قدرته، ويدخل في مفهوم القدرة العلم والسلطان.. فيجب على العالم ما لا يجب على الجاهل، ويجب على السلطان ما لا يجب على غيره من آحاد المسلمين،

ولهذا فإن الله تعالى خص بالإنذار والوعيد أهل العلم، وحذرهم من كتمان الحق الذي عرفوه قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ،) فأوجب الله على أهل العلم أن يبينوا للناس ما علموا من معاني الإسلام، وأن ينشروها بين الناس لينقذوهم من أوضار الشرك، وكل من عرف شيئا من معاني الإسلام فهو عالم بهذا الشيء، وعليه تبليغه إلى من يجهله، فليس العلم شيئا واحد لا يتجزأ ولا يتبعض، وإنما هو قابل للتجزئة، وكل مسلم يعلم أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الحساب في يوم القيامة حق، وأن القرآن كلام الله حق، وأن الصلاة والصيام والحج والزكاة من فرائض الإسلام، فعليه أن يبلغ ماعلمه، أما مايجهله فلا يكلف بتبليغه ولا تعليمه، لأنه يجهله وفاقد الشيء لا يعطيه).

الفصل الثاني
معالم المنهج القرآني في دعوة غير المسلمين

تمهيد:
المبحث الأول: إيقاظ الفطرة
المبحث الثاني: تقويم الفكر
المبحث الثالث: المعاملة الحسنة

تعريف المنهج:

جاء في لسان العرب طريق نهج: بين واضح، والجمع نهاجات ونهوج، وفي التنزيل : ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والمنهج : الطريق المستقيم، ونهج الثوب: بلي، ونهج الرجل نهيجا: تواتر النفس من شدة الحركة والأعياء".

وفي معجم مقاييس اللغة: «النهج: الطريق، وهو مستقيم المنهاج والمنهج : الطريق، والجمع المناهج».

ومن هنا يتبين أن مادة نهج تأخذ معان عدة، وفي هذا البحث يقصد بالمنهج: الطريق والأساليب التي سلكها القرآن الكريم، واستخدمتها السنة النبوية في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. فالقرآن الكريم له منهجه في خطاب المدعوين، فالله عز وجل خالق الناس وهو أعلم بمن خلق، فهو يخاطب النفوس البشرية فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية، والمتعة الوجدانية).

فكما أنه لا ينسى حظ القلب من التشويق والترقيق، والتحذير والتنفير، والتهويل والتعجب، فهو لا ينسى أيضا حظ العقل من الحكمة والعبرة، فهو يجمع بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة فتستجيب له النفوس راضية مطمئنة).

وهذا المنهج القرآني شامل متوازن، لا يركز على العبادة دون السلوك أو يهتم بالفرد دون المجتمع، أو يعنى بالعقيدة ويهمل العمل، إنما هو يشمل (جوانب النفس كلها ويعمل في كل ميادين الحياة) .

والدعوة الإسلامية تستمد مادتها من القرآن الكريم وتسترشد بآياته وتسير على منهجه، فالقرآن هو روح الدعوة ومحرك جذوتها - ومشع نورها، وهو حاميها وحارسها، وهو بيانها وترجمانها).

ولقد خاطب القرآن الكريم النفوس البشرية بأنواعها، فهو مع المؤمنين يدعوهم إلى الإيمان وإلى زيادته .. يرغبهم في الطاعات،وينفرهم من المعاصي.. يخوفهم من عذاب الله وينهاهم عن اليأس من رحمته، وهو مع أهل الكتاب يردهم في رفق إلى أصول دينهم، ويذكرهم بما جاء من رسلهم، ويفند العقائد الزائفة بأسلوب واضح مقنع، وهو مع المشركين يخاطب فيهم العقل، ويدعوهم إلى المشاهدة والنظر في خلق الله، ويفتح لهم باب الحوار ليتضح لهم الحق، ثم يدعوهم إلى التوحيد الخالص .

وهو مع ذلك كله يخاطب الفطرة ويسعى إلى كشف الحجب التي تحول بينها وبين معرفة الحق.

إن القرآن العظيم في دعوته للمشركين ركز على قضيتين رئيستين من أبرز معالم المنهج القرآني في الدعوة وهما:

١- إيقاظ الفطرة. ٢- تقويم الفكر.

ولم تكن آيات القرآن تتخذ في ذلك أسلوبة واحدة بل جاءت بطرق شتى وأساليب متعددة.

كما أن من معالم منهج القرآن الكريم في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في المجتمع

الإسلامي المعاملة التي شرعها الإسلام
قال تعالى : (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) فشرع الإسلام لغير المسلمين الإقامة في بلاد المسلمين بعقد الذمة أو الأمان كما تقدم ذلك في المبحث الخامس من الفصل التمهيدي.وسأعرض لملامح منهج الإسلام في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول: إيقاظ الفطرة.

المبحث الثاني : تقويم الفكر.

المبحث الثالث: المعاملة الحسنة.

المبحث الأول إيقاظ الفطرة

سعى القرآن الكريم في دعوته للمشركين إلى إيقاظ الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، وأشارت إليها سورة الروم في قوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

وسلك القرآن في ذلك طرقا عدة أعرض لها من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: تصحيح العقيدة:

يتفاوت المشركون في اعتقاداتهم وتصوراتهم للكون والحياة، - وعندما نزل القرآن في مكة كان لدى المشركين آنذاك بقايا من دين إبراهيم عليه السلام، وقد خلطوا معها ما استحسنته أهواؤهم ووجدوا عليه آباءهم، ولذلك تميز أسلوب القرآن في تصحيح عقيدتهم بما يلي:

أ/التركيز على توحيد الألوهية:

لقد كان التوحيد هو المعركة الكبرى التي خاض القرآن الكريم و غمارها لإزالة الشرك والوثنية من نفوس الناس، وتعليمهم كيف يعبدون إلها واحدة لا شريك له، له ملك السماوات والأرض وبيده مقاليد كل شيء.

وكان منهج القرآن في ذلك هو الرجوع إلى فطرة الإنسان، واستثارتها، والتساؤل معها عن مظاهر الخلق والتدبير والملك، فخاطب الفطرة، وفتح أمام العقل منافذها، وطاف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، وعرض عليها مظاهر إبداع الله وقدرته في الكون، كالشمس والقمر، والليل والنهار، والحدائق والأنهار، وغير ذلك من مشاهد الكون).

وسعى القرآن الكريم إلى تقرير أن الفطرة عند تذكيرها وإيقاظها لا تملك إلا الاعتراف بالربوبية لله سبحانه وتعالى، ومادامت قد اعترفت بالله ربا، فما الذي يمنعها أن توحده في ذاته وصفاته وتفرد له العبادة وحده؟ .

إن طريقة القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام وإلى توحيد الألوهية بدأت من توحيد الربوبية الذي هو أصل بين الخلائق، فطر الله عليه الخلق كلهم، أما توحيد الألوهية فهو مجال الافتراق، فكان المشركون يخلصون الدين لله وقت الشدة، ويشركون به وقت الرخاء، قال تعالى : (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)

لقد بدأ القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام من خلال عناصر الاتفاق، أي إذا كنا وإياكم نتفق على توحيد الربوبية، وأنتم تخلصون له وقت الشدائد، فلماذا لا تخلصون العبادة له في الرخاء؟ .

والقرآن الكريم في دعوته للمشركين إلى عقيدة التوحيد لم يتحدث عن إثبات وجود الله ، لأن معرفة وجود الله أمر فطري في النفوس البشرية السليمة.

فوجود الله (حقيقة بدهية لا تحتاج إلى جدال أو نقاش، وليست في حاجة إلى إقامة الأدلة والبراهين عليها، وبذل الجهود لإثباتها) فالله تعالى قد فطر الخلق على الإيمان به ربا، ولذلك فإن منهج القرآن

الكريم هو إيقاظ الفطرة وتذكيرها بما هو مغروس في أعماقها قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن

بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ).

وخاطب القرآن الفطرة بما هو مغروس فيها بمثل قوله تعالى:(وإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ)، وقوله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)

وكما أن القرآن الكريم لم يتحدث عن إثبات وجود الله، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا لم يستخدم أسلوبا واحدا ليثبت به وجود الله ، ولم ينقل عن الصحابة شيء من ذلك، وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفود من اليهود والنصارى وغيرهم ولم يثبت أن وجود الله تعالى كان مدار حديث بينهما

لقد كان منهج القرآن الكريم الحديث عن صفات الله، وهيمنته وعلمه بكل شيء . على الخلق، وعن علمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور وعن إحاطته وعلمه بكل شيء

وقد يوجد طائفة في كل عصر تتراكم على فطرتها حجب كثيفة، فتتظاهر بإنكار وجود الله، كما هو حال الدهريين قديما قال تعالى:(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)، وكذلك الطبيعيون اليوم والملحدون الذين يتظاهرون بإنكار وجود الخالق، فجاء القرآن بتذكيرهم بمثل قوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ).

إن أهل هذه الطائفة وإن كانوا يتظاهرون بإنكار الخالق فإن أقوالهم تثبت أنهم مفطورون على أن هذا الكون له خالق، سواء كان الخالق عندهم هو الدهر، أو الطبيعة، أو الكون.

وإن من ينكر من هؤلاء وجود الخالق بلسانه فإنه مستيقن في باطنه بوجود الله تعالى، قال تعالى مخبرة عن أمثال هؤلاء الجاحدين المنكرين: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)، فالإنكار والجحود من البعض لوجود الخالق، هو إنكار وجحود محض على وجه المكابرة والعناد، ولا يعني خلو فطرة الإنسان من الإحساس العميق بوجود الخالق، ولهذا إذا زالت الغشاوات عن فطرة الإنسان، وزالت مكابرته وعناده، فإنه يجد نفسه بلا اختيار منه متوجها إلى الله هاتفة بلسانه، مستنجدا به بكل كيانه)

وإذا كان الإسلام قد ركز على قضية التوحيد مع المشركين عموما فإنها أيضا أساس الدعوة لأهل الكتاب ومبدؤها فقد بدأ القرآن الكريم مع أهل الكتاب بدعوتهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، فعرض عليهم دعوة التوحيد بأسلوب حكيم، وجعل من التوحيد قضية أساسية لا يعدل عنها إلى غيرها إلا بعد الإيمان بها.

كما دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى (التفكير والتأمل في أنه إذا كان التوحيد قضية مسلمة كمبدأ أساسي بين أهل الإيمان وأهل الكتاب ، فلماذا هذا الاختلاف في النتائج والمقتضيات والفروع؟ فإذا آمنوا بأصل التوحيد فلابد أن يخضعوا لنتائجه اللازمة ، قال تعالى:(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) .قال صاحب تفسير المنار:(هذه الآية أساس الدين وأصله - الأصيل، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يدعو بها أهل الكتاب

إلى الإسلام كما ثبت إلى هرقل والمقوقس) .

وهكذا فإن القرآن بدأ مع أهل الكتاب بهذه القضية وهي توحيد الله وإخلاص العبادة له قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ). .

ب) سهولة عرض العقيدة

عرض القرآن الكريم عقيدة التوحيد بأسلوب سهل ميسر، يخلو من الإطناب والتعقيد، ويفهمه العامة والخاصة، هذه الخاصية في منهج القرآن هي للقرآن وحده، وهي سمة هذا الدين الذي يختلف عن غموض الديانات الأخرى وفلسفتها البعيدة عن واقع الحياة، والمخالفة للفطرة السليمة والعقل الصحيح.إن مما ييسر سهولة عرض الإسلام هو أن (أصوله ودعائمه الكبرى واضحة بينة، لا لزعمائه وقادة الفكر والدعوة إليه فقط، ولا لخاصة المثقفين من أتباعه وأنصاره فحسب، بل لجمهرة المؤمنين به أيا كانوا، يستوي في ذلك الأصول الاعتقادية، والشعائر التعبدية، وأمهات الفضائل الخلقية، والأحكام التشريعية).

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجوب. مكة وماحولها، يمر بالمشركين في دورهم، وأنديتهم يدعوهم إلى كلمة واحدة قائلا: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» وكان رسالته صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض وزعمائها: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ).

وكان صلى الله عليه وسلم لا يعلن أن دعوته لله لا تعقيد فيها ولا تكلف: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)، فدعوته خالصة لا تكلف فيها ولا تصنع، ولا يأمر إلا بما يلائم منطق الفطرة.

إن أسلوب القرآن في عرض عقيدة التوحيد لم يكن جدلا عقيمة، أو تفلسفة مذمومة، أو رياضة ذهنية ليس بينها وبين الواقع صلة، بل جاء القرآن بعقيدة واقعية، تصف حقائق قائمة في الوجود، لا أوهاما متخيلة في العقول. حقائق يقبلها العقل، وتستريح إليها النفس، وتستجيب لها الفطرة السليمة، فكان هذا الأسلوب سهلا واضحا، يفهمه البدوي في الأودية والصحاري، كما يفهمه أهل الحضارة والثقافة في أرجاء الأرض، ويتذوقه من عاصر الوحي وشهد نزول القرآن، ومن بعد به العهد والمكان .

*لقد عرض القرآن الكريم للحقائق والمعاني عرضا عمليا محسوسا، ولم يعرضها عرضا نظرية، فقدرة الله عز وجل، لم يحدثنا عن كنهها، وكيفها، وعن أسرارها الخفية ومعانيها التجريدية، بل عرضها عرضا مشاهدة في مخلوقاته، فأنت تراها في البحر والجبل، والزهر والشجر، والشمس والقمر، ونحو ذلك مما تقع عليه العين في الأرض والسماء).

وهذه الخاصية في منهج القرآن الكريم من سهولة عرضه لعقيدة - التوحيد، كان لها أثر كبير في استجابة النفوس إليه، ودخول الناس في دين الله ، فهو يذكر الفطرة بما هو مغروس في أعماقها، ويدعو العقل إلى التفكير، فلا يعارض الفطرة، ولا يلغي دور العقل، فتستجيب له النفوس آمنة مطمئنة، بخلاف الديانات الأخرى التي تخالف الفطرة وتعطل العقل، فيعيش أهلها في ظلمات الشك والحيرة .

ج- استخدام جميع الحواس:

إن القرآن الكريم وهو يدعو المشركين إلى تصحيح العقيدة ، ينطلق مما يراه الناس حولهم من الآيات التي تملأ الآفاق. فيدعو الحواس لكي تعمل، والعقل ليتدبر ما حوله من الآيات، يتأملها وينتفع بها، بدءا بنفسه التي فيها من العجائب الدالة على عظمة الله ماتنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنها معرض عن التفكير فيها ولو فكر في نفسه، لزجره مايعلم من عجائب خلقها عن كفره، قال تعالى: قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ)،

وقال تعالى : (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ)، وقال تعالى : (وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) .

لقد دعت آيات كثيرة في القرآن الكريم إلى النظر في الأنفس والآفاق نظرة صحيحة، يفتح فيه صاحبه عينه وقلبه على الآية التي ينظر إليها، ويتأمل مافيها من عبرة وحكمة.

وحين يذكر القرآن في السماء والأرض والنفس آيات وشواهد للمؤمنين، لايكتفي بمجرد الإشارة، بل يذكر ما هي هذه الآيات فينص عليها بالاسم أو الوظيفة حتى يبلغ الكلام إلى الأسماع والقلوب .

كما أن القرآن يدعو إلى النظر بالقلب المفتوح، والعين المبصرة، في هذا الكون الواسع العظيم قال تعالى : (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ)، وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) .

وهذه الآيات التي تملأ الآفاق، ليست أمرا خفيا يحتاج إلى كد . ذهني، ولكنها أشياء بارزة للعيان، شاخصة للحواس، تعترض المرء في كل وجه، وتفرض نفسها عليه في كل وقت، وهي ميسورة للعالم والجاهل، والقاريء والأمي، فما على المرء إلا أن ينظر أو يسمع أو يلمس.

وكما دعا القرآن إلى النظر في الآيات الكونية المبثوثة في السماء ، فقد دعا إلى التأمل والنظر في الآيات التي في الأرض التي نعيش عليها قال تعالى : (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ)، وقد عرضت آيات القرآن لحياة النبات والحيوان، ودعت إلى التأمل فيها، كما دعت إلى النظر إلى الجبال والأنهار، والزروع والثمار، والحدائق والأزهار، وإلى الطير مسخرات في جو السماء، وإلى مايدب على هذه الأرض من الأحياء في آيات كثيرة يصعب حصرها.

قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)، ففي هذه الآية دعوة إلى النظر في بدائع صنع الله التي يراها الإنسان على جنبات الأرض. ولأن المجال هنا مجال تدبر الآيات الله فقد قال تعالى: (انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) ثم ختمت الآية بقوله: (إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أي «دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته).

وكثيرا ماتختم الآيات التي تعرض صورة من الحياة على هذه الأرض بالحث على إعمال العقل وتدبر الفكر كقوله تعالى: (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)، وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ).

كما أن هذه الآيات التي تبين قدرة الله وعظيم صنعه، تأتي مقرونة بالدعوة إلى التوحيد الخالص، كما في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)، ففي هذا السياق الذي يذكرهم بهذه النعمة العظيمة، يصور حالهم بعدها بقوله:(وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ) ، ويبين حقيقة شركائهم بقوله: (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ).

إن القرآن الكريم حين يطلب إلينا النظر إلى هذه الآيات الكونية في السماء والأرض لا يتركنا ننظر كما نشاء، نظرة الغفلة والجمود، بل يرسم لنا منهاج النظر الحق، الذي ينشيء بيننا وبين الملأ الأعلى أوثق الصلات، في أقرب وقت، فيعلمنا أن ننظر إلى الكيف لا الكم، والكيف الباب وعبرة، والكم صور وأحجام، والكيف يدرك بالقلب، والكم يدرك بالحواس الظاهرة؟).
قال تعالى : (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) وقال تعالى : (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)

إن هذا الكون كتاب مفتوح ايقرأ بكل لغة ويدرك بكل وسيلة وكل يطالعه بقدر استعداده وإدراكه)، وقد أمد الله الإنسان بالحواس التي تعينه على أن يأخذ من الآيات في السماء والأرض وما بينهما، مايشاء من الأدلة والبراهين، حتى يطمئن قلبه وينشرح صدره، ويزداد الذين آمنوا إيمانا.

المطلب الثاني: الترغيب والترهيب:

جبلت النفوس البشرية على حب ماينفعها، والنفور مما يضرها، وكان من منهج الدعوة في القرآن الكريم أن يخاطب الفطرة، ويدعوها إلى التوحيد من خلال الوعد والوعيد، فهو يرغب تارة، ويحذر أخرى، فقد رغب الناس في قبول دعوة الإسلام وحذرهم من رفضها في آيات كثيرة، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب: أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله.

ويقصد بالترغيب «كل مايشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول - الحق والثبات عليه، ويقصد بالترهيب كل مايخيف ويحذر المدعو من - عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله .

فالترغيب والترهيب من مقاصد الرسالة، فهما التبشير والإنذار : التبشير بوعد الله والإنذار بعقابه، وقد وصف الله الرسل جميعا بأنهم مبشرين ومنذرين ، قال تعالى: (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ)

ولذلك كان من الحكمة في أسلوب الدعوة أن تعرض في بعض الأحوال مصحوبة بشيء من الترغيب والترهيب، أو بأحدهما)

وكثيرا ماتقرن آيات القرآن بين الترغيب والترهب، قال تعالى عن كتابه الكريم: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)،

وقال تعالى : (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)، .

وقال تعالى : (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)

ولقد وعد الله الطائعين الحافظين لحدود الله بجميل الجزاء وبشرهم بحسن المثوبة، وتوعد المخالفين الذين يتعدون حدوده وأنذرهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ترغيبا وترهيبا .

ولقد كانت الرغبة فيما عند الله وما أعده لأوليائه في الجنة، والخوف من أليم عقابه وانتقامه ، الدافع لأولئك النفر من الصحابة الذين خلد التاريخ مواقفهم، يتدافعون على الجهاد، غير رجلين من الموت يقول قائلهم وبيده تمرات : «أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل).

وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يستشعرون دائما صور النعيم الذي أعده الله لأهل الجنة ودعا إليه ورغب فيه بمثل قوله تعالى: (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ)، وقوله تعالى : (هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49)جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (50) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52)هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ).

وكما أفاض القرآن في وصف الجنة وما أعد الله فيها لأهلها، فإنه حذر من رفض الدعوة، وعدم قبولها، فجاءت نصوص القرآن تحذر من خطورة ذلك وأثره بأساليب تقشعر منها الجلود، وصورت ما أعد الله الأعدائه من العذاب والنكال، وعرضت لمشاهد يوم القيامة، وحال الشركاء، والمشركين، والأتباع والمتبوعين في آيات عديدة، وكثيرا ما يقترن وصف أهل الجنة ووصف أهل النار، بل قليلا ماينفرد أحدهما بالذكر دون الآخر، كما قال تعالى في سورة ص بعد ذكر حال المتقين : (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (50) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52)هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ).

وقال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ

الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)

وقال تعالى مبينا حال الشركاء والمشركين والأتباع والمتبوعين : إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)، وقال تعالى : (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) وقال تعالى : (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ(49) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ).

إن عرض القرآن الكريم - في مجال الترغيب - لوصف الجنة، ووصف المؤمنين وهم يتقلبون في نعيمها، وعرضه - في مجال الترهيب - لوصف النار وأهوالها، ووصف أهلها، وهم يتذوقون مرارة العذاب، كل ذلك كان يقرن في مواضع كثيرة بتذكير الإنسان بحقيقة الدنيا وعدم إيثارها على الآخرة، قال تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، هذه حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، فأما الدنيا فإنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، وأما الآخرة فإنها خير للذين يتقون في ذاتها وصفاتها، وبقائها | ودوامها، ولكن ليست لكل أحد وإنما هي للمتقين الذين يعقلون أوامر الله ويتركون نواهيه وزواجره).

ولما كان الإنسان يعيش في الدنيا ويشاهدها، ويحس بها، ويتعرض لإغراءاتها، مما قد يجره إلى الركون إليها والتعلق بها، ونسيان الأخرة، فلابد إذن من التنفير من إيثارها على الآخرة، لا من الفرار منها جملة واحدة، مع بيان حقيقتها وقيمتها، وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها، وقد بين القرآن ذلك كله خير بيان مما يجعل أي مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا، بل ويجعل المدعو غير المسلم منجذبا إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة، وقد يجره ذلك إلى الإيمان لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا).

ورغم أن أهل الكتاب أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا، ونسبوا إليه ما لا ينبغي لجلالته وعظمته، فنسبوا إليه الولد، وزعموا أن الله فقير، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرة وفعلوا مافعلوه بالأنبياء من التنكيل بهم وتكذيبهم، بل وقتلهم، ورغم نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، ومخالفتهم تعاليم الرسل، وابتداعهم في الدين وتحريفهم وتبديلهم فيه، رغم ذلك كله، فإن القرآن جاء يدعو أهل الكتاب أحيانا بأسلوب سهل رقيق، كقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ).

فبعد ما اقترفه أهل الكتاب من أفعال، وما افترته ألسنتهم من أقوال مما ذكره القرآن الكريم، تأتي هذه الآية تفتح لهم بابا عظيمة من عفو الله وحلمه، فإن هم آمنوا واتقوا تكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الله جنات النعيم.

وذكر القرآن في سياق الترغيب نعم الله على أهل الكتاب وخصوصا بني إسرائيل، فجاءت آيات عديدة تذكرهم بنعم الله التي أنعم الله بها عليهم. قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ

الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ).

: وفي سورة البقرة أفاض القرآن في ذكر نعم الله عليهم على سبيل الإجمال والتفصيل، قال الرازي: (واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال فقال:(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)، وفرع على ذلك تذكيرهم الأمر بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال: (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم من الإيمان. ثم ذكرهم النعم على سبيل الإجمال ثانية بقوله مرة أخرى: {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) تنبيها على شدة غفلتهم، ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله: {وأني فضلتكم على العالمين) مقرونا بالترهيب البالغ بقوله: {واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) إلى آخر الآية، ثم شرع بعد ذلك في تعديد النعم على سبيل التفصيل، ومن تأمل وأنصف، علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع).

ثم إن في خطاب القرآن لهم ب (يا بني إسرائيل) تهييجا لهم وتذكير بنبيهم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام.

قال ابن كثير: «وتقدير الكلام يابني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق، كما تقول يا ابن الكريم افعل كذا، يا ابن الشجاع بارز الأبطال، يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك .

وفي مقابل هذا الترغيب لأهل الكتاب، جاءت آيات عديدة تخاطبهم في سياق الترهيب.. تؤنبهم على عدم إسلامهم وتوبخهم، كقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَيَا (70)يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) وقوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) .

كما جاءت آيات عديدة تهددهم وتتذرهم عقوبة الله إن هم أعرضوا عن الإيمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) .

وكان لمثل هذه الأيات وقع شديد عليهم، روى ابن جرير بسنده أن كعب الأحبار سمع رجلا من حمص يقرأ قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) فقال كعب: يارب أسلمت، مخافة أن تصيبه هذه الآية).

وفي رواية لابن أبي حاتم قال كعب: فبادرت إلى الماء، فاغتسلت وإني لأمس وجهي مخافة أن أطمس، ثم أسلمت).

المطلب الثالث التذكير بنعم الله

والتذكير بنعم الله له تعلق بالترغيب والترهيب إلا أنه معلم بارز من معالم المنهج الإسلامي في دعوة غير المسلمين، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، والله تعالى هو المنعم

المتفضل على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى، قال تعالى : (إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ).

وقد بين القرآن الكريم أن دعوة المشركين من هذا السبيل دعامة من دعائم منهج دعوة الأنبياء (عليهم السلام)،

ففي دعوة نوح (عليه السلام) نقرأ تذكيره لقومه ببعض أنعم الله عليهم، وذلك في قوله سبحانه: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)،

وقال تعالى عن هود (عليه السلام) أنه قال لقومه: (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، وقال لهم أيضا: (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (132) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)،

وقال صالح (عليه السلام) لقومه: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)،

وقال معدداً لهم نعم الله ، مذكراً لهم بها : (أتتركون في ما ها هنا آمنين (146) في جنات وعيون (147) وزروع ونخل طلعها هضيم) ،

وفي سياق دعوة إبراهيم الخليل (عليه السلام) لقومه، كان يذكرهم بنعمة الله على العبد، ويعرفهم بالله من خلال ذلك، فيقول عن ربه عز وجل: {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ).

: إن الدعوة إلى توحيد الله من خلال التذكير بنعم الله كانت من السمات البارزة في منهج القران في دعوة المشركين، فلقد فطر الله العباد على معرفة أنه الخالق الرازق، وكان المشركون يقرون بهذا، ويعترفون به، قال تعالى :(قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ).

وجاءت ايات القران الكريم تركز على ما فطر الله عليه الإنسان وجبله عليه، فذكرته بالنعم المحيطة به، وما سخر الله له في السماوات والأرض، ودعته من خلال ذلك إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له،

قال تعالى: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (80) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) .

وقال تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

(61) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (62) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (63) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

إن هذه الآيات الكريمة وغيرها وهي تعرض نعم الله تعالى على خلقه لتذكر الإنسان بالنعم، في السماء والأرض، وفي الشمس والقمر، والليل والنهار، في الجبال والبحار والأنهار، والنبات والثمار، والحيوان والطيور وغير ذلك من النعم، ثم تدعوه إلى توحيد الله تعالى وإسلام الوجه له تبارك وتعالى كما قال تعالى في ختام الاية المتقدمة بعد سياق التذكير بالنعم قال تعالى: (لعلكم تسلمون) أي تسلمون لعظمته وتنقادون لأمره وتصرفون هذه النعم في طاعة موليها ومسديها، فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من العباد مزيد الشكر والثناء على الله تعالى بها).

إن القرآن الكريم إنما يذكر الإنسان بنعم الله تعالى عليه لأن أكثر النعم قد يألفها الإنسان فلا يشعر بها إلا حين يفتقدها، ولذلك يأتي التذكير بالنعم أحيانا على وجه التحذير من زوالها وفقدها،

كما في قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)،

وقال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية : «أي هل أحد يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه»، فهذه الآيات وغيرها فيها تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها فإنه إذا وازن بين حالة وجودها وحالة عدمها تنبه عقله لموضع نعمة الله تعالى عليه .

المبحث الثاني تقويم الفكر

خلق الله تعالى آدم وذريته وأودع في نفوسهم الفطرة السليمة ، وهي إفراده بالخلق والعبودية، ولما طرد الله إبليس من الجنة توعد آدم وذريته بإغوائهم وبطمس معالم الفطرة في نفوسهم، وهذه الفطرة هي التي خلق الله عليها الأولين والآخرين قال تعالى: (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) ، وإبليس توعد أن يبدل هذه الفطرة ويغيرها قال تعالى : (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (117) لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا)

ومن رحمة الله عز وجل أن بعث الرسل والأنبياء، ليرشدوا الناس إلى صراط الله وينقذوهم من كيد الشيطان، ويوقظوا النفوس من غفلاتها، ويصححوا ماعلق بأذهانهم من الشرك والجهالات، ومما يوحي به شياطين الإنس والجن.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة اهتمت بإيقاظ الفكر وتصحيحه وتذكير الإنسان بالحجب التي تحول بينه وبين التفكير السليم.

وقد سلك القرآن في منهجه لتصحيح الفكر وتقويمه عدة طرق سأعرض لها في المطالب التالية

المطلب الأول : نبذ التقليد.

المطلب الثاني : الإقناع العقلي .

المطلب الثالث: الاعتبار بمصارع الغابرين.

المطلب الأول: نبذ التقليد

عندما نزل القرآن الكريم كانت الظنون والأهواء تحجب التفكير السليم عن عقول المشركين، قال تعالى : (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ)، ولذلك نجد القرآن دعا هؤلاء المشركين إلى الابتعاد عن كل مايحول بينهم وبين التفكير الصحيح، وجاءت آيات كثيرة في القرآن تدعو إلى نبذ التقليد الذي هو من دوافع الإنكار عند المشركين، وهو سبب رئيسي في رفضهم لدعوات الأنبياء قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)

و لقد سيطر على هؤلاء سلطان الجهل والتقليد، فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، وقد كان آباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالا، ومع ذلك فهم على آثارهم مقتدون، ولن يتركوا ما وجودا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون".

(ولم يكن العرب الذين واجههم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحدهم الذين اخترعوا هذه المقالة، بل قد رددها الذين استحبوا العمى على الهدى من الأمم السابقة).

لقد كان التقليد بلاء الأمم قديما وحديثا، من عهد نوح (عليه السلام)، فعندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده قالوا (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ) ،

وكذلك كانت عاد، عندما دعاها نبي الله هود فقالوا له(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ

يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)،

وثمود قوم صالح قالوا له: (أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)

وفي دعوة شعيب (عليه السلام) تذكر سورة هود نفس الإنكار السابق، والوارد على السنة المكذبين بدعوة نبيهم شعيب وذلك في قوله سبحانه وتعالى: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا).

وعندما عنف إبراهيم الخليل (عليه السلام) على قومه في عبادتهم الأصنام قالوا: (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ).

لقد دعا القرآن الكريم إلى نبذ هذا التقليد الجامد، وشد المشركين من نواصيهم إلى خلع ثياب التقليد، وصدأ المواريث الثقافية التي حملوها أثقالآ ثقالا من الآباء والأجداد.

إن المكذبين في كل زمان ومكان دائما يتمسكون بإلف العادة والخضوع المطلق لما عليه الآباء.. هكذا كان ديدنهم مع الأنبياء، ويكون كذلك مع ورثتهم من العلماء والدعاة.

قال تعالى : (وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) .

لقد عنف القرآن الكريم على المشركين هذا الاتباع الأعمى بمثل قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ).

لقد عاب القرآن الكريم على المشركين هذا التقليد والجمود، وضرب لهم هذا المثل الذي يصور أحدهم بالبهيمة السارحة التي لا تفقه مايقال لها بل إذا صاح بها راعيا ودعاها إلى مايرشدها تسمع مجرد صوت ولا تفقه ماذا يعني، بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح، وهم صم بكم عمي، وإن كان لهم آذان والسنة وعيون، ماداموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون وهذا تقريع وتوبيخ لكل من يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية ويتلقى أمر العقيدة والشريعة منغير مصدرها الصحيح).

كما عالج القرآن الكريم قضية التقليد بردها إلى أصولها، فهو يبين للنبي صلى الله عليه وسلم وللدعاة من بعده أنها سنة ماضية في الأمم من قبل، وواجهها الأنبياء (عليهم السلام) قال تعالى : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)، فكانت دعوتهم ودعوة القرآن إلى أن يخلص كل إنسان نفسه من ربقة التقليد، وأن كل إنسان مسؤول عن نفسه قال تعالى : (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (38) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ).

وعندما نزل القرآن على أهل مكة ودعاهم إلى التوحيد الخالص، تعللوا بما عليه الآباء والأجداد فقالوا:

{قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ)، فردهم القرآن إلى ملة أبيهم إبراهيم الذي يدعون النسبة

اليه في النسب والتدين.

لقد دعا القرآن إلى اتباع دين إبراهيم الخليل (عليه السلام) وأنزل الله على رسوله قوله { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

وأمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم وإلى ملة إبراهيم التي لا اعوجاج فيها ولا انحراف فقال تعالى:(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)..

وأوضح القرآن في آيات كثيرة قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه، وصراعه معهم وهو يدعوهم إلى توحيد الله تعالى، ومن خلال ذلك كله يغرس في نفوسهم حقائق عن أبيهم إبراهيم ودعوته قال تعالى:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، فما كان إبراهيم (عليه السلام) مشركا، بل كان موحدة، يدعو إلى عبادة الله وحده وجعل كلمة التوحيد باقية في عقبه ووصى بها أبناءه من بعده

قال تعالى: (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ).

المطلب الثاني: الإقناع العقلي

عندما خاطب القرآن الكريم العقل، لم يكن خطابه مشتملا على تعقيدات فلسفية، ولم يكن غامضة لا يعرفه إلا قليل من الناس، بل كان خطابا سهلا ميسرة يفهمه العامة والخاصة، وكان تحريرا للعقل البشري من غموض الفكر الفلسفي وأوهامه وتخيلاته، وتحريرا له - أيضا ممن عطلوه ووقفوا به عند حد التقليد.

إن الإيمان أساسه الإقناع العقلي وما تستطيع قوة في الأرض أن تجبر إنسانا من داخله على اعتناق مذهب أو دين، إلا إذا كانت تمتلك من نفاسة مبدئها، ووضوح غايتها، ما يشد القلوب إلى هذا المبدأ وتلك الغاية، وهذا ما صنع القرآن»، لقد كان القرآن الكريم في خطابه للمدعوين يتجه إلى الإقناع، لا إلى التسليم المحض وسلك في ذلك طرق عدة منها:

1- ضرب الأمثال:

اشتمل القرآن الكريم على كثير من الأمثال المختلفة الهادفة جرية على لغة العرب، وساق القرآن الكريم أمثاله لتكون وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وذلك لأن المثل في كل أحواله يقرب المعاني

ويجعل صورتها مثيرة لدى المستمع، ويجعلها مع القرب والإثارة في وضع ثابت بالدليل .

والأمثال من أقوى الوسائل لإقناع المدعوين على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم، فكما يفهمها الجاهل وينتفع بها ويتعظ، فإنها تكبح جماح المعاند، وتقنعه بلزوم الحق واتباعه.

(وفي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق، أمر لا يجحده أحد،ولا ينكره وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا فالأمثال شواهد المعنى المراد).

وجاء في القرآن الكريم أمثال عديدة، تبين للمشركين حقيقة شركهم، وحقيقة الآلهة التي يدعونها من دون الله ، ولم تأت الأمثال في القرآن على نمط واحد، بل جاءت بصور متنوعة، تبعث على التفكير وتأخذ بيد المدعو، وترشده إلى استخدام عقله الذي أكرمه الله به .

والقرآن عندما يمثل للمشركين حقيقة شركهم لا يمثل بالغريب، وإنما يتخير من المحسوسات الموجودة، ويجليها بأوصافها، ويضعها في المثال شاهدة واضحة على مايريد ذكره وبيانه، من ذلك

قوله تعالى :(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).

فهذا المثل يبين حقيقة أولياء المشركين، فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا، وكذلك هؤلاء المشركون الذين اتخذوا من دون الله أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم ووهنا إلى وهنهم.قال ابن القيم(رحمه الله): (هذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده).

ومن أمثال القرآن ما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ).

إن أمثال القرآن تضيف مزيدا من الإقناع العقل المدعو، وتلامس فطرته، وتدعوه إلى أن ينصف من نفسه، وهذا المثل من سورة الحج يبين ضعف الشركاء، وعجز آلهة المشركين، ومهانتها، في تصوير عجيب، ومشهد حي مؤثر في النفوس.

قال ابن القيم (رحمه الله): (حقيق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه ، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ماينفع عابده وإعدام مايضره، والالهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ماهو أكبر منه؟ ومايقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليه من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلاهم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع مايسلبهم إياه ، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله ؟ وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم).

2- الأسئلة:

جاءت آيات كثيرة من القرآن الكريم تقرر أحقية عقيدة التوحيد، وتبين زيف الشرك عن طريق الأسئلة، وهي بذلك تدعو المخاطب إلى أن يعيش مع القرآن والدعوة، ويعمل فكره في مضمونها، وهي تثير في المدعو صلاحية الاستدلال، وقوة الاحتجاج»، فيبحث بنفسه، ويتحقق بنفسه، ويستنتج بنفسه، وجاءت الأسئلة بطرق متعددة وبصيغ مختلفة.

وتأتي الأسئلة أحيانا تقريرية)، فيأتي السؤال ومن بعده الجواب، التقرير العقيدة الصحيحة كقوله تعالى : (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ

لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) وقوله تعالى : (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ).

وقوله تعالى :قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)

وقد تأتي الأسئلة تحمل معها تحذيرا وإنذارا للمشركين من باس الله ، مثل قوله تعالى :(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) .

وقوله تعالى : أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) .

وقد تأتي الآيات بتسفيه عقول المشركين، وتبين لهم ضعف الشركاء كما في قوله تعالى : (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

وقوله تعالى في شأن الشركاء : (فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) .

إن القرآن وهو يوجه أسئلة كثيرة يدعو بها المشركين أحيانا إلى : التفكير في مخلوقات الله، وأحيانا إلى الوقوف مع أنفسهم، ومع شركائهم، وأحيانا إلى النظر في عاقبة الأمم التي سلكت مسلكهم، يضع المشركين في موقف حرج مع أنفسهم ويلزمهم التفكير في حقيقة أمرهم وهذا المنهج القرآني كان له أثره على المشركين فكان يزلزل | نفوسهم، ويصدع أفئدتهم كما قال جبير بن مطعم قبل أن يسلم:سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور في صلاة المغرب فلما بلغ قوله و تعالى:(ام خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ). كاد قلبي ان يطير

وفي هذه السورة سيل من الأسئلة المفحمة التي تخاطب المشركين قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31)أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (34) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ(37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (38) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (39) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (40) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ).

إن هذه التساؤلات المتواصلة تطارد المشركين بالحقائق الصادقة والتحديات القوية، وتتعقب وساوس نفوسهم في صورة استفهامات استنكارية. فتكشف شبههم، وتدحض حججهم، وتوقفهم

مجردين من كل عذر ومن كل دليل.

وهي مع ذلك «تفتح على النفس آفاقا من الإيمان الذكي الذي يجعلها تهرع متجردة إلى الله وتنفر من شوائب الشرك).

إن هذه التساؤلات للمشركين جاء في ختامها المقصود الأول لها وهو قوله تعالى: {أَ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ). ، فهي ترمي إلى بيان حقيقة واحدة وهي وحدانية الله تعالى ووجوب إفراده بالعبادة .

٣- الجدال بالتي هي أحسن:

الجدال هو أحد الطرق المستخدمة في الدعوة لإقناع المدعو، وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة، وبطلان ماسواها، وإزالة مايعلق في الأذهان من الشبهات التي تحول دون قبولها، وقد خص الله أهل الكتاب دون غيرهم بقوله : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ)...

فهذه الآية نص في تخصيص أهل الكتاب عند دعوتهم بالجدال الحسن

واختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة؟

قال القرطبي: «قال مجاهد: هي محكمة . فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة).

وقيل الآية منسوخة بقوله تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ).

ورجح القرطبي قول مجاهد، وعلل ذلك بأن أحكام الله عز وجل لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر، أو حجة من معقول، واختار هذا القول ابن العربي ، ويرى الباحث أن هذا القول أقرب للصواب لأن الإسلام أجاز لأهل الذمة من أهل الكتاب وغيرهم من و المستأمنين البقاء في ديار الإسلام وخصهم بأحكام مستقلة، وبقاؤهم مع الإغلاظ عليهم ينافي سماحة الإسلام، وبالتالي فإن بقاء هذا الحكم هو الأصل، ولم تخل مجتمعات المسلمين في عصر من العصور من غير المسلمين الذين كان للمسلمين أثر في دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن.

وحتى أهل الحرب منهم كان المسلمون يبدأون معهم بالدعوة قبل مقاتلتهم، ويجادلونهم بالحسنى، ويعرضون عليهم الإسلام، فإن هم ابوه قاتلوهم.

وهذا الحكم، وهو بقاء مجادلة أهل الكتاب هو الذي يرجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «ماذكره الله من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، حكم لم ينسخه شيء، وكذلك ما ذكره الله تعالى من مجادلة الخلق مطلقا بقوله: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ)، فإن من الناس من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآيات السيف الاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة، وهذا غلط فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضا للحكم المنسوخ كمناقضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس

بالشام».

إن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من أهل الذمة والمستأمنين يدخلون في عموم قول الله تعالى: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ)، وقوله تعالى : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وهذا «لا يناقضه الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم).

إن هذا الأسلوب الذي دعا إليه القرآن في معاملة أهل الكتاب عند مجادلتهم، فيه غاية التسامح والتلطف الذي يوجب عليهم قبول الإسلام والدخول فيه.

4ـ الدعوة إلى ملة إبراهيم (عليه السلام):

لقد دعا القرآن الكريم المشركين إلى أن يعودوا إلى ملة إبراهيم (عليه السلام)، وأوضح لهم وجوب اتباع هذه الملة، قال تعالى:(وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، وقال تعالى : (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

وعندما زعم اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على ملتهم، رد عليهم القرآن بقوله : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، وأوضح لهم مذكرة إياهم أن التوراة

والإنجيل نزل على كل منهما بعد إبراهيم (عليه السلام) قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) .

إن من منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب التركيز على المباديء المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب، ودعوتهم من خلالها، فالمسلمون وأهل الكتاب يؤمنون بنبوة إبراهيم الخليل ويعدونه أبا للأنبياء من بعده، قال تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ) الآية.

وورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود الحسن والحسين ويقول: (إن أباكم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)، فأبوه إبراهيم للأنبياء من بعده ثابتة بالكتاب والسنة، وكتب أهل الكتاب تشهد بذلك أيضا

ودعوة أهل الكتاب من خلال ذلك له أثر في قبولهم للدعوة، وقد ركز القرآن على ذلك لبيان حقيقة الدين الذي دعا إليه إبراهيم وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة لا كما يزعم اليهود والنصارى من أنه كان على دينهم. أو كما يزعم المشركون بما اتخذوه من أصنام وابتدعوه من عبادات ونسبوا ذلك إلى دين إبراهيم عليه السلام وقد نزه الله نبيه عن ذلك في آيات كثيرة جاء بعضها في القرآن المكي قال تعالى في سورة النحل (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

5ـ ا الإخبار بأن القرآن نزل مصدقا لما بين يديه من الكتب:

ركز القرآن في دعوته للمشركين على أن دعوة التوحيد التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم امتداد لدعوات الأنبياء من قبل قال تعالى: (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ).

وبين القرآن أن دعوته ة موافقة في أصولها وغاياتها لدعوة سائر الأنبياء السابقين قال تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)

وقد أنزل الله الكتب على الأنبياء، فاندرس منها ما اندرس وبقي منها مابقي .. لكن مابقي منها كالتوراة والإنجيل فقد تعرض لأهواء الأحبار والرهبان فأوسعوها تحريفا وتبديلا ، أما القرآن الكريم فقد أبي الله إلا حفظه وتكفل بذلك فقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، وجعل الله هذا الكتاب العظيم مهيمنة على الكتب التي قبله، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)، قال ابن كثير : (جعل الله هذا الكتاب العظيم - الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها - أشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ماليس في غيره فلهذا جعله شاهدة وأمينا وحاكمة عليها كلها» ، فلا كتاب بعده، ولا كمال إلا به

وكان من منهج القرآن الكريم أن دعا أهل الكتاب إلى أن يعلموا أن الرسل يصدق بعضهم بعضا، وكل يؤمن بنبوة الآخر، ودعاهم إلى عدم التفريق بين الرسل والإيمان بجميع الكتب المنزلة،

قال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)

ووصف القرآن من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض بأنهم الكافرون حقا قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا).

وامتدح القرآن الذين يؤمنون بجميع الرسل ولا يفرقون بين أحد منهم، قال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)

ودعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى أن يجعلوا من إيمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وإيمانهم بالقرآن امتدادا لإيمانهم بموسى وعيسى وما أنزل عليهما فهو يخاطبهم على لسان عيسى (عليه السلام): (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا

هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)، فمحمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل ولم يأت ليهدم ما في التوراة والإنجيل، وإنما جاء خاتما للمرسلين، وداعيا إلى الله على طريقهم".

6 - العدل في الحكم عليهم:

كما فرق القرآن الكريم بين أهل الكتاب وغيرهم من المشركين، " فإنه فرق أيضا بين أهل الكتاب أنفسهم وحكم على كل فريق منهم بما يستحقه من خير أو شر ملتزما في ذلك طريق العدالة والصدق ، فلم يحكم عليهم حكما عاما، فأثنى على من آمن منهم وصورهم في مشاهد مشرقة وضيئة) قال تعالى: (إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ).

وأثبت القرآن لأهل الكتاب أنه في كل موقف من مواقف تكذيبهم للرسل أو تقصيرهم في أداء حقوق الرسالة، تبقى طائفة منهم على الحق قال تعالى : (لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ).

وفي سورة الأعراف ذكر القرآن جملة من معايب بني إسرائيل المنافية للكمال، المناقضة للهداية ، حتى ربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم وأنهم جميعا كانوا ضالين، فجاء عدل القرآن في حكمه عليهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة، هادية مهدية، قال تعالى: (وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)

والقرآن في حكمه على أهل الكتاب لا يطلق لفظ العموم قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)، فلم يقل وأن جميعكم فاسقون، وقال تعالى: {وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ،

إلى غير ذلك من الآيات التي تبين منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب في العدل معهم، وعدم تعميم الحكم عليهم.

وعندما يقص القرآن قصص بني إسرائيل مع أنبيائهم نجده لا يبخسهم حقهم أيضا، فهو يذكرهم بأيام الله، ويقلب لهم صفحة مضيئة في تاريخهم، يوم أن كانوا دعاة هدى ورحمة، ومنارة حق وإيمان، وصفحة أخرى كالحة، يوم أن انحرفوا عن دين الله وطمسوا حقائقه ومعالمه، وهو يدعوهم إلى الصفحة المضيئة والبحث فيها). وهكذا يمضي القرآن على هذا النهج يحق الحق ويبطل الباطل، ويبين أن النهج الأقوم في دعوة أهل الكتاب هو العدل في الحكم عليهم والتمييز بين طوائفهم.

٧- تذكيرهم بحقيقة ما يعلمونه عن الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم:

عندما نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد من الناس يتهم النبي صلى الله عليه وسلم في شأن من شؤون حياته فكان الصادق الأمين، وكان أكمل أهل قريش عقلا وفضلا ويصور ذلك ماجاء في حديث خديجة رضي الله عنها إذ تقول: (كلا والله لا يخزيك الله

أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق).

وقال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ))، فكانوا يعلمون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما صدهم الكبر والحسد والتقليد الأعمى عن قبول الحق والإيمان به .

وعندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى البطحاء وصعد الجبل فنادى: (يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش فقال: أرأيتم أن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني قالوا نعم وفي رواية قالوا : ماجربنا عليك كذبا، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)..

وعندما نزلت آيات القران الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان العرب أهل الفصاحة والبيان لا يجاريهم في ذلك أحد، وكانوا يوقنون في أنفسهم أنه ليس بالشعر ولا يشبهه شيء من كلام البشر. ولقد تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القران حين اجتماعه بنفر من قريش ليبيتوا ضد النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن هشام في السيرة النبوية أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأينا نقول به، قال : بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال : لا والله ماهو بكاهن، لقد رأينا الكاهن فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال : ماهو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة، ومأأنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه،وذكروا لهم أمره.

فهولاء خصوم الدعوة يوقنون بصدق رسول الله ويتحيرون في صرف الناس عن دعوته حتى يختارون مقالة الوليد الذي أنزل الله فيه آيات سورة المدثر قال تعالى: « دري ومن خلقت وحيدا وجعل له مالا

دودا (وبين شهودا ومهد له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا

إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(24) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ).

ولقد جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تدعو المشركين إلى أن يحاكموا عقولهم بما يعلمونه من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وماجاء به من الوحي.

و كما بين القرآن الكريم في آيات كثيرة حقيقة ما يعلمه أهل الكتاب من اسم وصفة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر أن علماءهم يعلمون هذه الحقيقة وأن ذلك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فالأنبياء (بشروا أممهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم).

قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ)، وقال تعالى على لسان عيسى بن مريم (عليه السلام): (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)، وقال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

فأكد القرآن معرفة أهل الكتاب الجازمة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالكتاب الذي أنزل معه، ويقينهم في معرفة ذلك هو. يقينهم في معرفة أبنائهم لا يشتبهون عليهم.

وبين القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعلمون حقيقة القرآن الكريم وأن خبره مدون في كتب الأنبياء السابقين قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

(194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196)أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) .

أي أن ذكر هذا القرآن والتنويه به، موجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ).

والقرآن الكريم إذ يبين لهم علمهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما أنزل معه يلزمهم بالإيمان بهما ويقيم الحجة عليهم، فكتبهم التي بين أيديهم تشهد بصدق رسول الله ، بل إنهم كانوا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام يستفتحون على الذين كفروا قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ).

قال ابن كثير: «أي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائه من المشركين إذا قاتلوهم يقولون : إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم» فعلماء اليهود كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم أو أشد من معرفتهم لأبنائهم، وإنما كفروا به حينما تيقنوا من صفاته بغيا وحسداً

وجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد خص أهل الكتاب بمنهج مستقل في دعوتهم، وأوضح أن سبل إقناعهم بالحق ميسورة، فالكتاب الذي بين أيديهم يشهد بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، وعلماؤهم يعرفون ذلك وإن أنكروه ظاهرة، وأثنى القرآن على طوائف منهم آمنوا وصدقوا فنالوا أجرهم مرتين قال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَٰئِكَ

يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)

وأوضح القرآن الكريم أن هناك من الأصول المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مايمكن أن تكون ميدانا لدعوتهم، وسبية الإقناعهم، كالإيمان بالوحي والآخرة، والانتساب إلى إبراهيم الخليل وغير ذلك من الميادين التي يتفق فيها أهل الكتاب مع المسلمين .

المطلب الثالث: الاعتبار بمصارع الغابرين

لما كانت كل أمة حلقة من حلقات التاريخ، يمضي عليها ما مضى على الأمم، فإن القرآن جاء يدعو إلى الاستفادة من قصص الماضين، والاعتبار بها، قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

وأمر الله عز وجل بالاعتبار بمصارع الأمم السابقة قال تعالى عن يهود بني النضير : (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ).

أي تفكروا يا أهل البصائر النافذة والعقول الكاملة في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله، وكذب كتابه، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع مايدخره له في الآخرة من العذاب الأليم".

ففي هذه الحادثة معتبر (يعرف به صنع الله في المعاندين للحق المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم ولا منعتهم قوتهم، ولاحصنتهم حصونهم حين جاءهم أمر الله وصل إليهم النكال بذنوبهم والعبرة بعموم المعنى لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مايشابهه).

وسنة الله في عباده ثابتة لا تتغير في الأفراد والجماعات، قال تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).وقال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

لقد ذكر في القرآن الكريم عواقب الأمم المكذبة في مواضع كثيرة ومتفرقة، وجاءت مجملة في مواضع، ومفصلة في أخرى، وهي تقرر حقيقة واحدة، وهي أن سنة الله في خلقه ماضية، وماحدث للمكذبين والمستكبرين في كل عصر أمر لا يتخلف، وسنة الله فيهم لا تتبدل قال تعالى(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)

وأكد القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها في أعقاب كل جزاء يحل بقوم نتيجة ما قدمت أيديهم، قال تعالى في قريش وماحل بهم يوم بدر : (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ)). ويردف ذلك بأنها سنة عامة إذ يقول: (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ).

كما حث القرآن الكريم الانتفاع بالتجارب التاريخية للأمم السابقة، ودعا إلى السير في الأرض، والنظر في عواقب الأمم قال تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ). وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). فلا يغني عن أمة إن هي أعرضت واستكبرت وكذبت، قوتها أو علمها وحضارتها، فهي تلقي مالقيته الأمم المكذبة من قبل، وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون.

والقرآن وهو يدعو إلى السير في الأرض، يكشف بلاء الأمم وكيف عذبت وزال ملكها، وحل بها ماحل من العقوبات، ويبين أن الذنوب باختلاف أنواعها هي سبب ذلك.

وفصلت آيات القرآن الكريم كيف أباد الله الأمم المكذبة للرسل، ونوع في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم، وأنه تعالى أعذر إليهم بأن بين الهم الحق بالحجج الواضحة على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى : (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ). كما قال تعالى : (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ). وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن قوم نوح وإبراهيم وقوم لوط وشعيب، وقوم عاد و ثمود.

وكما ضرب القرآن الأمثال بمصارع الغابرين، فقد كان الأنبياء يحذرون أقوامهم أن يحل بهم ماحل بالأمم قبلهم فقال هود (عليه السلام) لقومه: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ). وقال صالح (عليه السلام) لقومه: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ). وقال شعيب (عليه السلام) يحذر قومه: (وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ). فشعيب (عليه السلام) يدعو قومه إلى العظة والاعتبار بمصير الأمم المكذبة من قبل، وقومه يدركون يقينا ماحل بالأمم السابقة من العذاب

والقرآن الكريم يجمع في تذكيرهم بمصارع الغابرين بين قرب المكان وقرب الزمان، كما في الآية المتقدمة حيث قال: { وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ).. قال ابن كثير (رحمه الله): (قيل المراد في الزمان، قال قتادة يعني إنما هلكوا بين أيديكم بالأمس، وقيل في المكان، ويحتمل الأمران)

ولعل الأظهر أن المراد به الأمران أي قرب الزمان والمكان، فهو أعظم في إقامة الحجة عليهم، كما ذكر الله قصة أصحاب الفيل لأهل مكة وكانت قريبة في الزمان والمكان من قريش.

وكما بين القرآن الكريم سبب ماحل بالأمم السابقة من العقوبات والعذاب، فقد نبه إلى أن من سلك مسلكهم له نفس المصير، كما قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (82) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) . أي وماهذه النقمة والعذاب ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه .تلك أبرز ملامح منهج القرآن في دعوة غير المسلمين حيث سعى إلى إيقاظ الفطرة المغروسة في أعماقهم، كما سعى إلى

تصحيح تفكيرهم وتنقيته من الأفكار التي تشربتها نفوسهم واستحسنتها عقولهم ويأتي منهج الإسلام واقعاً عملية في معاملة غير المسلمين الذين يقيمون في بلاد الإسلام وهو ما سأبينه في المبحث التالي إن شاء الله .

المبحث الثالث :حسن المعاملة

تمهيد:

يعد الإحسان إلى غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من الوسائل المهمة في دعوتهم فقد شرع الإسلام لغير المسلمين من الذميين والمستأمنين المعاملة الحسنة، لقوله تعالى : (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).

قال ابن كثير: أن تبروهم أي: تحسنوا إليهم، وتقسطوا أي : تعدلوا(٢).

هذه الآية أصل في معاملة غير المسلمين المعاهدين، وحكم هذه الآية باق غير منسوخ، قال ابن جرير : «ولا معنى لقول من قال إن الآية منسوخة)، وقال القرطبي: «وأكثر أهل التأويل على أنها محكمة »

قال مفتي الديار السعودية سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - يرحمه الله -: «معنى الآية : الرخصة في الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين بموجب عهد أو أمان أو ذمة) .

كما جاء في القرآن الكريم نصوص كثيرة تبين ضرورة الإحسان إلى الناس في القول والعمل، وتوجب العدل معهم، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ). وقال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة، أما السنة فقد كان هدي النبي وأصحابه قولا وعملا غاية في العدل والإحسان وشواهد ذلك لا تحصر.

وقد أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهم قال البخاري في صحيحه باب الوصاة بأهل ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساق بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «أوصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم»، وكان رضي الله عنه يقول: «أوصي الخليفة من بعدي أهل الذمة خيرة أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم)

*** الفرق بين البروالموالاة والموادة:**

هناك فرق ظاهر بين الإحسان في المعاملة للمعاهدين وبين موادتهم بالقلوب، والآية المتقدمة نص في جواز برهم والإحسان إليهم وقد قال تعالى: (أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ). ولم يقل : أن توادوهم، ولا يعني برهم مودتهم بأي حال من الأحوال.

فلا تلازم بين الموادة، ومؤاكلتهم ومعاهدتهم وحسن عشرتهم؛ لأن ذلك من باب المعاملة معهم بالتي هي أحسن لا من المودة، يوضحه أن الله نهى عن موادة الآباء والأبناء إن استحبوا الكفر على الإيمان قال تعالى : (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ).الآية،مع أنه أوصى بالإحسان إلى الوالدين الكافرين قال تعالى:(وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا)، فدل على أن الإحسان لا يستلزم المودة في القلب)، قال ابن حجر رحمه الله البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه» .إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام لا تكون إلا بالاختلاط بهم، ولا يتصور دعوة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي دون الاختلاط بهم ومعرفة طبائعهم وعاداتهم

وثقافاتهم ومن ثم الاستفادة منها في دعوتهم، وذلك لا يكون إلا بمخالطتهم والبر بهم والإحسان إليهم والعدل معهم. وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تزخر بالأمثلة التي تبين جواز مخالطة المشركين لدعوتهم إلى الإسلام.

وهذا الإختلاط ليس مطلقا دون حدود أو ضوابط بل لابد فيه من امرين

أ- عدم وجود المنكر. ب - بغض ماهم عليه من الكفر والشرك.

ولا يستلزم بغضهم هذا إيذاءهم أو غشهم، قال ابن باز رحمه الله : وإذا كان المسلم مأمورة بالبراءة من أهل الشرك وبغضهم في الله، فإنه مأمور مع ذلك بأن لا يؤذيهم ولا يضرهم ولا يعتدي عليهم بغير حق إذا لم يكونوا حربا لنا، فيعاملهم معاملة إسلامية بأداء الأمانة، وعدم الغش والخيانة والكذب، وإذا جرى بينه وبينهم نزاع وخصومة جادلهم بالتي هي أحسن وأنصفهم في الخصومة عملا

بقوله تعالى: (وَلَاتُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)

احكام البر والصلة والموالاة والمودة مع غير المسلمين وحكم الاختلاط بهم

اولا/

البر والصله .....حكمه جائز

دليله لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

ثانياً/

الموالاة والمودة.....حكمة محرم

دليله لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ

ثالثاً/

الاختلاط بهم..... حكمة جائز بشرطين

الشروط 1- عدم وجود منكر 2- بغض ماهم عليه من الكفر والشرك

قال ابن حجر – رحمه الله (البر والصلة والإحسان لا يستلزم التوادد والتحابب المنهي عنه)

أحكام الصدقة لغير المسلمين

اولاً/

الصدقه من غير الزكاة.....حكمها /جائز

الدليل مرعمر بن الخطاب عند مقدمه الى أرض الشام بقوم مجذومين من النصارى فأمر ان يعطوا من الصدقات

ثانياً/

الصدقة من الزكاة .....حكمها/ جائز للمؤلفة قلوبهم اما غير ذلك فلا يجوز

الدليل إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

ثالثاً /

صدقة زكاة الفطر.....حكمها/ جائز اذا لم يجد المتصدق مسلماً

رابعاً/

الوصية.....حكمها/ تجوز الوصية للقرابة من غير المسلمين

دليلها/ أن صفية رضي الله عنها ـ زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لأخ لها يهودي اسلم ترثني فسمع بذلك

فقيل له اتبيع دينك بدنياك فأبى أن يسلم فأوصت له بالثلث.

أحكام صلة القرابة ,وتبادل الهدايا, وحسن الجوار ,مع غير المسلمين

اولاً/

صلة القرابة.....حكمها الجواز قريباً كان أو بعيداً

الدليل ان اسما بنت ابي بكر رضي الله عنها ـ قالت (قدمت امي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ـ فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قلت ان امي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي؟

قال نعم , صلي أمك)

ثانياً/

تبادل الهدايا..... حكمها الجواز

دليلها ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوس

ثالثاً/

حسن الجوار.....حكمه واجب

الدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم (من كان يومن بالله واليوم الاخر فليحسن الى جاره)

احكام التكنية والدعاء لهم

اولاً/

التكنية....حكمها/ يجوز تكنية الكافر والمبتدع والفاسق على وجه التآلف اما رجاء إسلامهم أو تحقيق منفعة منهم

الدليل/ كنى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية وهو يومئذ مشرك . جاءه على فرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم انزل ابا وهب.

وكنى ايضاً اقف نجران بأبي الحارث

ثانياً /

الدعاء لهم ....حكمه/ لا يجوز الدعاء لم بالمغفرة والرحمة أو الاجر لكن يجوز الدعاء لهم بالهداية وصحة البدن والعافية

الدليل/ حديث الطفيل بن ابي عمرو عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم ـ ان يدعو على قبيلة دوس فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم اهد دوس وأنت بهم)

أحكام: عيادة المريض,التهنئة,والتعزية,وإعانة المحتاج,والعدل مع غير المسلمين

اولاً/

عيادة المريض.....حكمها جائز ويجوز الدعاء له بالشفاء دون الاجر والمغفرة

الدليل/ عن انس رضي الله عنه ـ ان غلاما ليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ـ فمرض فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم ـ يعوده فقال : اسلم فأسلم .

ثانياً/

التهنئة..... حكمها جائز بشرطين

الشروط/ 1ـ ان لاتكون التهنئة بالفاظ محضورة تدل على الرضاء بدينة .مثل متعك الله بدينك

2ـ ان هذه التهنئه خاصه بالامور المشتركة اما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالتفاق مثل تهنئتهم بأعيادهم

ثالثاً/

التعزية..... حكمها يجوز قول اخلف الله عليكم خير منه او احسن عزاكم او جبر الله مصيبتك ولكن لايجوز الدعاء له بالاجر ولا لميته بالرحمة والمغفرة .

رابعاً/

اعانة المحتاج.....حكمها جائز

الدليل/ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ رأى شيخاً من اهل الذمة يسأل فسأله عن سبب ذلك؟ فقال : اسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده واعطاه شيئا من منزله وأمر له من بيت المال ووضع عنه الجزيه .

خامساً/

العدل في معاملتهم .....حكمة واجب

الدليل/ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

احكام البدء بالسلام واحكام رد السلام لغير المسلمين

اولاً

البدء بالسلام.....احكامة على النحو التالي:

1- التحريم ..... وذلك عند ابتداءهم بالتحية مطلقاً بالسلام أو بغيره

2 - الجواز ....وله حالتان

أ/ عند الضرورة او الحاجه ويشترط أن تكون بغير السلام مثل: كيف حالك؟ كيف اصبحت؟

ب/ اذا مر بأخلاط من المسلمين وغيرهم

ودليل ذلك حديث اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود فسلم عليهم .

3 - الكراهيه ....في حال المصافحه

ثانياً

رد السلام ....حكمة الوجوب وله حالتان

الحاله الاولى/ اذا تحقق المسلم انه قال السام عليكم او شك فيما قال فيرد: وعليكم

الدليل/ حديث النبي صلى الله عليه وسلم - انه قال: (اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم)

الحالة الثانية/ اذا تحقق انه قال السلام عليكم فقال بن القيم يرد عليه نظير سلامه من باب العدل

واستدل بقوله تعالى(واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)

آثار المعاملة الحسنة لغير المسلمين تتمثل في أمور عدة :

. ١- دخول كثير من غير المسلمين في الإسلام لما شاهدوه من حجيج الإسلام وآياته وما شاهدوه من بر المسلمين بهم وعطفهم وعدلهم معهم عند معاملتهم لهم

٢- أن غير المسلمين لما رأو معاملة المسلمين لهم أصبحوا عونا لهم على أعدائهم ، يبين ذلك ما ورد أن جيش المسلمين لما بلغ وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة - رضي الله عنه - قرب الأردن ، كتب له النصارى يقولون : يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا منازلنا . من الروم وإن كانوا على ديننان أنتم أوفي لنا وأرأف بنا واكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ، لكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا

المؤسسات الدعوية وابلاغ الدعوة لغير المسلمين الواقع والتطلعات

بحث علمي محكم د سليمان الحبس

المبحث الأول

أهمية المؤسسات الدعوية الإبلاغ الدعوة لغير المسلمين

لا شك أن المؤسسات الدعوية لها دور بارز، ويد طويلة، في الدعوة إلى الله عز وجل بعامة وبين غير المسلمين بخاصة.

فما أهمية وجودها في العصر الحاضر؟ وهل إذا وجدت وقامت بالدعوة إلى الله تعالى على أي وجه تكون قد أقامت الحجة على غير المسلمين؟ وهل هناك ضوابط لإبلاغ الدعوة الغير المسلمين لابد من مراعاتها والاهتمام بها؟! ثم قد يتساءل متسائل ما واقع إبلاغ الدعوة الغير المسلمين في العصر الحاضر على الرغم من كثرة غير المسلمين وتنوعهم، وتعدد بلدانهم وأماكن وجودهم؟

وفي هذا المبحث لعلي أسلط الضوء على هذه الأمور، من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: أهمية وجود المؤسسات الدعوية

المطلب الثاني: ضوابط إبلاغ الدعوة.

المطلب الثالث: واقع إبلاغ الدعوة لغير المسلمين.

المطلب الأول

أهمية وجود المؤسسات الدعوية

أهمية وجود أي مؤسسة من المؤسسات سواء كانت دعوية، أو علمية، أو تجارية، أو غيرها تكمن في عدة جوانب من أهمها في نظري- ما يلي

الجانب الأول: مدى حاجة المجتمع إلى خدماتها.

الجانب الثاني: مواصفاتها المتنوعة والمتميزة التي يمكن أن تعود بفوائد متعددة على شرائح كثيرة من المجتمع

ولو أردنا تطبيق هذا الأمر على المؤسسات الدعوية لا تضح لنا بجلاء أهمية وجودها، سواء داخل المجتمعات الإسلامية أو خارجها، لاحتوائها على هذين الجانبين، ويتبين لنا ذلك من خلال ما يلي:

1- أن كل المجتمعات بل البشرية بعامة على اختلاف أديانها، وأوطانها، ولغاتها، بأمس الحاجة إلى المؤسسات الدعوية؛ لأنه عن طريقها يمكن إبلاغ الدعوة إليها، وإيضاحها لها، فتكمن إذا أهمية وجود المؤسسات الدعوية من خلال الرسالة العظيمة التي تحملها للناس كافة بشارة ونذارة

ومما لا شك فيه أن البشرية باسرها لا تحتاج إلى شيء بقدر احتياجها وضرورتها إلى شريعة إسلامية تسعدها في الدنيا والآخرة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والرسالة ضرورية للعباد، لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينالة من حياتها وروحها فهو في ظلمة؛ وهو من

الأموات، قال الله تعالى: (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورا يمشي به في الناس. وأما الكافر فميت القلب في الظلمات)

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة... إلى أن قال رحمه الله: ولما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس فط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم.

فالحاجة إذا إلى الشريعة، وإلى الدعوة إليها شديدة، وبخاصة أن عقول البشر مهما بلغت من الذكاء والفطنة لا تستطيع وحدها أن تدرك مصالحها الحقيقية التي تكفل لها السعادة في الدارين.

وعليه فإن وجود المؤسسات الدعوية التي تحمل هذه الرسالة العظيمة في غاية الأهمية إلى كل الناس فضلا عن غير المسلمين الذين هم في أمس الحاجة إلى الدعوة إلى الله تعالى ومن يحملها ويبلغها إليهم.

٢- أن المؤسسات الدعوية تتفوق في الجملة على العمل الفردي مهما كان نوعه وجديته بعدد من الأمور منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- أن عمل المؤسسات الدعوية يتسم بالاستقرار والاستمرارية؛ لتعدد أعضائها، وتنوع مصادر دعمها المادي والمعنوي.

ب- أن المؤسسات الدعوية الأصل في عملها أن ياخذ طابع الرسمية فتلتزم بانظمة البلدان التي تعمل فيها مما يتيح لها العمل بحرية وشفافية مطلقة.

جـ - أن المؤسسات الدعوية يمكن لها أن تستوعب أكبر قدر ممكن من الطاقات والأجهزة الدعوية المناسبة، وهذا يتيح لها فرص النجاح والتميز في كافة أنشطتها الدعوية.

د- من خلال المؤسسات الدعوية يمكن رسم خطط دعوية، وتحديد أهدافها الكلية والمرحلية عن طريق وضع إستراتيجيات بعيدة المدى تنفذ على مدى سنوات وأحيانا على مدى عقود. وهذا ينعكس على إتقان العمل والوصول به إلى درجة عالية من الصواب ومقاربة الكمال.

ولهذا كله فوجود المؤسسات الدعوية غاية في الأهمية في كل زمان ومكان لإبلاغ الدعوة ونشر دين الله في الأرض،

ولهذا كله فوجود المؤسسات الدعوية غاية في الاهمية في كل زمان ومكان لإبلاغ الدعوة ونشر دين الله في الارض

المطلب الثاني

ضوابط إبلاغ الدعوة

أمر الله عز وجل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بإبلاغ الدعوة فقال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)، ومعلوم أن كل ما هو واجب على النبي صلى الله عليه وسلم فهو واجب على أمته إلا ما خصص.

وبين عز وجل أن مهمة نبيه صلى الله عليه وسلم هي إبلاغ هذا الدين. أنا هداية الناس وإيمانهم فهي ليست بيده ولا بيد غيره من المخلوقين. فقال سبحانه: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ).

لكن هذا البلاغ الذي أمر الله تعالى به لاشك أن له شروطاً وضوابط كي يكون بلاغا مبينا مقيما للحجة على من بلغه ووصل إليه.

وفي هذا المطلب ساعرض بعون الله تعالى أهم الضوابط التي ينبغي للداعية مراعاتها حين يوجه بلاغا دعوية لشخص بقصد دعوته إلى الله عز وجل، والدخول في هذا الدين العظيم، أو التمسك بمبادئه وتعاليمه الجليلة، وذلك على النحو التالي:

١- أن يبلغة القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله عز وجل وهو أول وأهم مصدر من مصادر التشريع في الإسلام فإذا ما رغب الداعية في دعوة شخص إلى الإسلام فإين عليه أن يبلغة القرآن؛ لأنه اشتمل على أصول الدين التي لا غنى للمسلم عن معرفتها وإدراكها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فمعلوم أن الحجة تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله تعالى:

(وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه من القرآن دون ما لم يبلغه فكيف فيمن من لم يبلغه جميع نصوص الكتاب فهذا من باب أولى»

فالقرآن حجة الله على خلقه فمن بلغة القرآن فقد بلغته الحجة وقامت عليه المحجة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ما ياتيهم من ذكر من ربهم إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم، وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه او تمكنه منها، ولما مقصود السماع وثمرته والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه).

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: «كل من بلغة القرآن فليس بمعذور... إلى أن قال رحمه الله: وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهما جليا كما يفهمها من هداه الله ووفقه وانقاد لأمره، فإن الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكثة أن يفقهوا كلامه» فلا يكفي الدعوة غير المسلم أن يسمع أن هناك دينا اسمه الإسلام ولا يعرف

عنه شيئا ولا عن أركانه وأصوله الكلية.

قال العلامة ابو الحسن المالكي: «وأما من لم تبلغهم الدعوة فلا خلاف في وجوب دعوتهم... وصفة الدعوة أن يعرض عليهم الإسلام فإن أجابوا كف عنهم وإن أبوا عرض عليهم أداء الجزية».. وأجابت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية عن سؤال ملخصه: كيف تحكمون بدخول النار لغير المسلم في حين أننا في هذه المنطقة لم نسمع عن الإسلام إلا الآن؟

أجابت بقولها: «المسلمون لا يحكمون على غيرهم بانهم في النار إلا بشرط وهو أن يكونوا قد بلغهم القرآن أو بيان معناه من دعاة الإسلام بلغة المدعوين لقوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)

فمن بلغتهم الدعوة الإسلامية من غير المسلمين وأصروا على كفرهم فهم من أهل النار لما تقدم من الآيتين...).

٢- أن يفهم مضمون البلاغ

ومن ضوابط إبلاغ الدعوة لغير المسلم أن يفهم غير المسلم ما يعرض عليه من أركان الدين وأصوله.:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند حديثه عن قول الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) قد علم أن المراد أن يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي لوجب أن يترجم له ما يقوم به عليه الحجة، ولو كان عربية وفي القران الفاظ غريبة ليست لغته وجب أن نبين له معناها، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره له وتبين له معناه فعلينا ذلك»

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب ولم يحضر ترجمان يترجم له، فهذا بمنزلة الأصم الذي لا يسمع شيئاً ولا يتمكن من الفهم».

فلا يكفي إذا أن تعرض على غير المسلم القرآن الكريم، أو غيره من أركان الإسلام ومبادئه وتعاليمه مجرد عرض دون أن يفهمها ويستوعبها .

يقول الدكتور جعفر شيخ إدريس وهو يتحدث عن الغرب في العصر الحاضر وسماعهم بالإسلام في ظل انتشار وسائل الاتصال وسهولتها- يقول حفظه الله: «ربما يكون الاسم قد بلغهم لكن الله تعالى لا يعامل الناس بمجرد اسماء لا يعرفون مسمياتها على حقيقتها، وإنما يحكم عليهم بالإيمان أو الكفر بحسب إدراكهم لمعاني الكلمات التي جاء بها الرسل».

ويجب أيضا ان لا نبالغ في قضية الفهم بحيث نقول لابد أن يفهم غير المسلم الحجة فهما جليا كما يفهمها من هداه الله وشرح صدره يقول الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: «وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهما جليا كما يفهمها من هداه الله ووفقه وانقاد لأمره، فإن الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوا كلامه».

فالمطلوب إذا أن يفهم غير المسلم مضمون البلاغ الذي يوجه إليه فهم الدلالة والإرشاد لا فهم الهداية والتوفيق.

٣- ان تبلغه الدعوة صحيحة غير مشوهة

ومن ضوابط إبلاغ الدعوة لغير المسلم أن تبلغه الدعوة إلى الإسلام صحيحة سليمة خالية من التشويه والتضليل سواء ما يتعلق بالقرآن الكريم، أو بالسنة المطهرة، أو بشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، أو غير ذلك مما له صلة بالإسلام والمسلمين.

أما إذا بلغت الدعوة غير المسلم بصورة مشوهة فيها تضليل، وتحريف لعدد من مبادئه وتعاليمه، أو لنبيه لا فإن ذلك سيقف حائلا عن قبوله لتلك الدعوة، ويجعل بينه وبينها حاجزا قويا، بل ربما يجعله يناصبه العداء بكل ما أوتي من قوة مادية أو معنوية.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله مؤكدا أن من بلغته الدعوة مشوهة هو في حكم من لم تبلغه الدعوة أصلا: «إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فإنهم ثلاثة اصناف:

الصنف الأول: لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم أصلا وهم معذورون

الصنف الثاني: بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الإسلام والمخالطون لهم وهم الكفار والملحدون.

الصنف الثالث: هم بين الدرجتين، بلغهم الاسم لمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم نعته وصفته؛ بل سمعوا أيضا منذ الصبا أن كذابا اسمه محمد - نعوذ من ذلك بالله تعالى- ادعى النبوة كما سمع صبياننا أن كذابة يقال له «المقفع») بعثه الله تحديا بالنبوة كاذبا.

فهؤلاء عندي في أوصافه في معنى الصنف الأول فإنهم مع أنهم لم يسمعوا اسمه سمعوا ضد أوصافه وهذا لا يحرك النظر في الطلب»

ويقول الشيخ عبدالله بن جبرين حفظه الله: «ولاشك أنه يوجد في الفترات من يجهل الإسلام، ولم يصل إليه عنه خير، وكذا من يصل إليه خبر الإسلام مشوها محرفة، أو ناقصا، ولا يستطيع الوصول إلى من يعرفه الإسلام والتوحيد الصحيح، فمثل هذا قد يعذرويلحق بأهل الفترات .

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إن هناك ألوفا مؤلفة تعتبر في حكم من لم تبلغه الدعوة أصلا وإن مر على بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة أربعة عشر قرنا. فهي إما أن تجهل كل شيء عن محمد ، وقرآنه وسائر تعاليمه، وإما أن تعلم من ذلك مفتريات روجها أعداء الإسلام وحشوها بما في أدمغتهم من أكاذيب. ولعلها معذورة في صدودها عن ذلك الدين؛ لأنها لم تتلق الحق من أصحابه، ولم تسمع لهم قيلا» :

ومما لاشك فيه أن هذا التشويه قد يبلغ غير المسلمين ويدركونه من خلال تصرفات بعض المسلمين التي تتنافى مع تعاليم الإسلام ومبادئه العظام فتحسب على الإسلام وكأنها جزء لا يتجزا منه.

تقول الدكتورة أنا ماري شمل: «وإن من المحزن أن لا يميز كثيرون في الغرب بين الإسلام،

وبين ما يلصق زورا وبهتانا بالإسلام، أو ما يقترف من جرائم باسم الإسلام، فالإسلام بريء من الإرهاب والإرهابيين»

ويصل هذا التشويه والتضليل إلى غير المسلمين وهو الأغلب من خلال ما يكتبه عنه المستشرقون والمنصرون، وغيرهم من المغرضين الحاقدين على الإسلام وأهله.

ومن الشواهد والأمثلة على ذلك التشويه والتضليل المتعمد ما يلي

أ- يقول الدكتور محمد زقزوق: «والهدف الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب، وتتمثل هذه الاتجاهات فيما يأتي:

1- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه ، وإبرازها والزعم بأنه دين ماخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمه، والحط من قدر النبي الا....الخ.

2- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين).

ب- جاء في الفصل العاشر من المجلد الثالث من الموسوعة التي أصدرتها منظمة العلوم والثقافة (اليونسكو) للأمم المتحدة وهي عن تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي» جاء فيه من التشويه وتزوير الحقائق ما يلي:

1- الإسلام ترتيب ملفق من اليهودية والمسيحية والوثنية العربية.

2- القرآن كتاب ليس فيه بلاغة

3- الأحاديث النبوية وضعت من قبل بعض الناس بعد الرسول بفترة طويلة ونسبت إلى الرسول.

4 - لا قيمة للمرأة في المجتمع الإسلامي.

5- أرهق الإسلام أهل الذمة بالجزية والخراج).

وللأسف أن هذه الهيئة الدولية استكتبت عددا من المستشرقين بوصفهم متخصصين في العلوم الإسلامية - للكتابة عن الإسلام، فاستغلوا الفرصة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين بهدف معرف الناس عنه.

ج- يقول الأستاذ إبراهيم النعمة: ترك المبشرون في الكاميرون وأذاعوا بينهم أن المسلمين إذا مرض أحدهم قاموا عليه فذبحوه، ثم سلخوا جلده ليستفيدوا منه في عمل التمائم التي تعلق على الناس والدواب»

د- يؤكد الدكتور ميجيل أيوناندت الأستاذ بجامعة مدريد سابقا حقيقة كثرة تعرض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم للتشويه حيث يقول: «لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلمة على مدى التاريخ مثل محمد»

وللأسف الشديد أن هذا التشويه والتجريح لشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ما يزال مستمرا، ومن أواخر ذلك ما حدث من بعض الصحف الدانمركية والترويجية وغيرها من الصحف الأوربية التي نشرت عددا من الرسومات النقدية والكلمات الساخرة تجاه النبي صلى الله عليه وسلم بخاصة والإسلام بعامة.

هـ- يقول فولتير الكاتب الفرنسي: «لقد ألصقنا بالقرآن مالا نهاية له من السفاهات التي لم تكن به على الإطلاق»

وكتب فولتير نفسه مسرحية بعنوان (التعصب او محمد النبي) عرضت بفرنسا يصف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأنه كان: « دجالا، ومستبدأ، تحركه الشهوات الجنسية ومتعطشاً للدماء».

فكون غير المسلم يقرأ ويسمع ويشاهد أيضا هذه الصور المشوهة، والحقائق المحرفة، والأكاذيب والافتراءات المضللة، لاشك أنها تكون لديه صورة ذهنية سيئة عن الإسلام والمسلمين تمنعه من الدخول في الإسلام وقبول تعاليمه.

وهذا هو الذي يريده أولئك المستشرقون والمنصرون والمغرضون؛ لأنهم يدركون تمام الإدراك أن الإسلام لو وصل إلى الناس كافة من دون تشويه أو تحريف لأقبلوا عليه زرافات ووحدانا. والواقع المعاصر خير شاهد على هذا الأمر،

المطلب الثالث

(واقع إبلاغ الدعوة لغير المسلمين)

إن واقع إبلاغ الدعوة لغير المسلمين في العصر الحاضر يسير بحمد الله تعالى سيرة حسنا، فهناك جهود كبيرة تبذل سواء من الهيئات والمؤسسات الدعوية الرسمية أو الخيرية وكذلك من الأفراد والحريصين على إيصال الخير الذي حباهم الله عز وجل به إلى الناس، أداء الواجب وإبراء للذمة، وحبا وحرصا على إنقاذ غيرهم من النار, وقدوتهم في ذلك رسول الله * الذي كان يفرح أشد الفرح كلما هدى الله عز

وجل على يديه امرأ غير مسلم.

فقد روى الإمام البخاري عن أنس عنه أنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»).

وهذا مصداق لقوله تعالى في وصف رسوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)".

وبفضل الله عز وجل ثم بفضل تلك الجهود المتضافرة انتشر الإسلام انتشارا واسعا أذهل الكثيرين. يقول الدكتور جعفر شيخ إدريس: «وما يزال هذا الدين يؤكد هذه الحقيقة بسرعة انتشاره المذهلة حتى في موطن الحضارة الغربية، فهم يقولون: إن معدل سرعة انتشاره أكبر من معدل سرعة الزيادة في سكان العالم»

ومع هذه المبشرات التي تثلج صدر كل مسلم، وتلك الجهود التي تبذل تبقى الحاجة النشر هذا الدين وإبلاغه للناس كافة أكبر من ذلك بكثير؛ نظرا إلى كثرة عدد غير المسلمين ممن لم تبلغهم الدعوة فقد فاق عددهم عند المسلمين عدة أضعاف، إضافة إلى ما يصاحب ذلك من عوائق وصعوبات متعلقة بأحوال غير المسلمين ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية والدينية

والسياسية ونحو ذلك.

وهناك دراستان علميتان تحدثتا عن واقع دعوة غير المسلمين ذكورا وإناثا في مدينة الرياض. وكان من النتائج التي توصلت إليها الدراستان ما يلي:

١- دراسة لنيل درجة الدكتوراه أعدها الدكتور عبد الله بن إبراهيم اللحيدان بعنوان :

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض - دراسة ميدانية تقويمية»، وكان من أبرز نتائجها الميدانية: أن 42,8 % من عينة الدراسة من غير المسلمين لم يلتقوا بدعاة من المسلمين .

٢- دراسة لنيل درجة الماجستير أعدتها الباحثة نوف بنت محمد الزبر بعنوان: دعوة غير المسلمات إلى الإسلام في مدينة الرياض دراسة ميدانية تقويمية» وكان من أبرز نتائج الدراسة الميدانية: أن ٣٧٠٨% من عينة الدراسة أفدن بأنهن لا يعرفن شيئا عن الإسلام، وهذا الأمر يعني وجود تقصير في نشر رسالة الإسلام...» فإذا كان هذا في بلد كالمملكة العربية السعودية، وفي مدينة الرياض التي يوجد فيها نحو عشرين مكتبة مهتمة بدعوة الجاليات غير المسلمة إلى الإسلام. فكيف سيكون الوضع في غيرها من الدول والمدن الإسلامية؟

أما إذا نظرنا إلى الدول غير الإسلامية فالأمر يزداد خطورة وصعوبة. والحاجة تظهر أكثر إلحاحا وليس هناك - حسب علمي واطلاعي القاصر- دراسات يمكن الاعتماد عليها المعرفة واقع إبلاغ الدعوة بين غير المسلمين في الدول غير الإسلامية

لكن هناك شواهد وأمثلة متفرقة ربما تعطي دلالات ومؤشرات عن واقع إبلاغ الدعوة فيها ومن تلك الشواهد ما يلي: .

1- قال الدكتور جعفر شيخ إدريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة: «حكي لي بعض الأصدقاء أن بعض المستمعين في إحدى الكنائس قالوا له: إننا لا نعرف شيئا عن دينكم، ونقترح عليكم أن تقفوا في الشوارع توزعون مواد تعترف به»

٢- أجرت صحيفة اللواء حوارة صحفية مطولا مع أسقف أمريكي أسلم فيما بعد وكان مما جاء فيه: «كنت قبل إسلامي أسقفة بولاية نيوجرسي الأمريكية ولم أكن قد عرفت أي شيء عن الإسلام». .

ويقول أيضا: «وخلال فترة دراستي في جامعة سانت باتريك لم أسمع كلمة واحدة عن الإسلام»).

فإذا كان هذا في الولايات المتحدة الأمريكية التي يقيم فيها ملايين المسلمين، ومن بينهم أعداد كثيرة لهم اهتمامات دينية, فكيف بغيرها من الدول التي يكون فيها عدد المسلمين أقل من ذلك بكثير وليس لهم نشاط دعوي مثل ما لدى المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد آلاف المراكز الإسلامية؟

المبحث الثاني

أحكام من لم تبلغه الدعوة

مما يدل على شمول تعاليم الإسلام وكماله أنها لم تترك معنية بهذا الدين إلا أوضحت الأحكام المتعلقة به، ومن هؤلاء: من لم تبلغه الدعوة، فقد جاءت الشريعة الإسلامية بكل ما يتعلق به من أحكام سواء كانت في الحياة الدنيا من حيث حقوقه وواجباته، أو كانت في الآخرة، وهل هو ممن يعذر بجهله، أو لا يعذر؟

وفي هذا المبحث سأ تطرق بعون الله تعالى إلى أبرز تلك الأحكام المتعلقة بمن لم تبلغه الدعوة من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أحكام من لم تبلغه الدعوة في الدنيا.

المطلب الثاني: أحكام من لم تبلغه الدعوة في الآخرة

المطلب الأول

أحكام من لم تبلغه الدعوة في الدنيا

أوضح العلماء والفقهاء في عدد من كتبهم ورسائلهم عدة من الأحكام الدنيوية المتعلقة من لم تبلغهم الدعوة والتي ينبغي لكل مسلم مراعاتها والعناية بها.

ومن أبرز تلك الأحكام وأهمها ما يلي:

١- وجوب دعوته إلى الإسلام

من لم تبلغه الدعوة تجب دعوته كغيره من أصناف المدعوين لقول الله عز وجل: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)".

ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع»..

جاء في الكافي في فقه ابن حنبل: «وإن اتفق في الجزائر البعيدة من لم تبلغه الدعوة وجبت دعوته لقوله تعالى: (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)

وجاء في كفاية الطالب: «وأما من لم تبلغه الدعوة فلا خلاف في وجوب دعوته» .

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: «فأما من لم تبلغه الدعوة لبعد داره فلابد من دعائه

إذا فلابد أولا من توجيه الدعوة لمن لم تبلغه الدعوة قبل أن يعامل بأي معاملة من المعاملات التي جاء بها الشرع الحنيف.

جاء في نيل الأوطار (باب الدعوة قبل القتال) وفيه دليل على وجوب تقديم دعاء الكفار إلى الإسلام قبل المقاتلة: وفي المسألة ثلاثة مذاهب،

الأول: أنه يجب تقديم الدعاء للكفار إلى الإسلام من غير فرق بين من لم تبلغه الدعوة منهم ومن بلغته.

الثاني: أنه لا يجب مطلقا.

الثالث: أنه يجب لمن لم تبلغهم الدعوة ولا يجب إن بلغتهم لكن يستحب.

قال ابن المنذر، وهو قول جمهور أهل العلم، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على معناه، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف من الأحاديث

٢- يحرم دمه وماله

ومن الأحكام الدنيوية المتعلقة بمن لم تبلغه الدعوة أنه لا يجوز قتله والإغارة عليه فهو حرام الدم والمال حتى تبلغه الدعوة.

قال الإمام الشافعي رحمه الله : «وأما من لم تبلغه الدعوة فلا أغير عليه حتى أدعوه، ولا أغنم من ماله شيئا حتى أدعوه فيمتنع فيحل دمه وماله .

وجاء في الكافي في أثناء الحديث عن من لم تبلغهم الدعوة: «فلا يجوز قتالهم على ما لا يلزمهم» .

.. وجاء في روضة الطالبين: «لا يقاتل من لم تبلغه الدعوة حتى يدعوه إلى الإسلام»

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإن قتل من لم تبلغه الدعوة غير جائز ».

وجاء في الهداية شرح البداية: «ولا يجوز أن يقاتل من لم تبلغه الدعوة إلى الإسلام إلا أن يدعوه... ولأنهم بالدعوة يعلمون أنا نقاتلهم على الدين لا على مصلب الأموال وسبي الذراري»

وصرح الإمام الماوردي رحمه الله بأنه لا يغنم مال من لم تبلغه الدعوة).

فمن خلال النصوص السابقة ظهر لنا أن من لم تبلغه الدعوة معصوم الدم والمال فلا يجوز قتله ولا الإغارة عليه ولا غنم ماله، ولا سبي ذريته حتى تعرض عليه الدعوة إلى الإسلام بكل وضوح وجلاء

٣- تجب في قتله الدية والكفارة

ومن الأحكام الدنيوية المتعلقة بمن لم تبلغه الدعوة لو قتله مسلم قبل أن يدعوه إلى الإسلام وجبت في قتله الدية والكفارة، جاء في المهذب: «وتجب - أي الدية - بقتل من لم تبلغه الدعوة؛ لأنه محقون الدم مع كونه من أهل القتال فكان مضمونة بالقتل كالذمي» وقال الإمام الخطابي رحمه الله: «فأما من لم تبلغه الدعوة ممن بعدت داره ونأى محله فإنه لا يقاتل حتى يدعى فإن قتل منهم أحد قبل الدعوة وجب فيه الكفارة والدية). وقال العلامة السيوطي رحمه الله: «قال بعض العلماء: من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى فإن قل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب في قتله الدية والكفارة».

المطلب الثاني

احكام من لم تبلغه الدعوة في الآخرة

اختلف العلماء في حكم من مات ولم تبلغه الدعوة في الآخرة على ثلاثة أقوال: فمنهم من حكم بنجاتهم من الدخول في النار لعدم تكليفهم وبالتالي فإن مصيرهم إلى الجنة.

ومنهم من حكم بدخولهم النار؛ لأنهم ماتوا على الكفر. وفريق ثالث توسط في ذلك فلم يحكم عليهم لا بجنة ولا نار إنما قال بامتحانهم بعد بعثهم فمن أطاع دخل الجنة ومن عصي دخل النار

وقبل الخوض في تفصيل هذه الأقوال أحب أن أبين أن العلماء رحمهم الله حين تحدثوا عن هذه الفئة. وهم من لم تبلغهم الدعوة، قاموا عليها عددا من الفئات المشابهة لها من حيث عدم التكليف وبلوغ الرسالة إليهم، أو عدم قدرتهم على تحمل مسؤولية التكليف لعدم بلوغهم أو ضعف في عقولهم لجنون أو نحوه.

وأبرز الفئات التي قاموا عليها من لم تبلغه الدعوة هم: اهل الفترة، والمجانين، وأطفال المشركين.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن طبقات المكلفين: الطبقة الرابعة عشرة: قوم لا طاعة لهم ولا معصية، ولا كفر ولا إيمان، وهؤلاء اصناف: منهم لم تبلغه الدعوة بحال ولا سمع لها بخبر، ومنهم المجنون الذي لا يعقل شيئا ولا يميز، ومنهم الأصم الذي لا يسمع شيئا أبدا، ومنهم اطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميزوا شيئا، فاختلفت الأمة في حكم هذه الطبقة اختلافا كثيرا).

وقال الشيخ ابن جبرين حفظه الله وهو يتحدث عن أهل الفترة -: يدخل فيهم الذين لم تبلغهم الرسالة ولم يعلموا بها، ولم يسمعوا بالشريعة، كالذين في أطراف الأرض وفي أقاصي البلاد، ممن نشا في جهل عميق... ويدخل فيهم أيضا من فقد السمع ولم يكن معه معرفة بالإشارة ونحوها وكذا من فقد العقل كلية ولم يعرف ما يحدث في الناس»).

وبناء على ذلك فإذا جاء الحديث في أثناء عرض أقوال العلماء عن حكم من مات ولم تبلغه الدعوة وجاء ذكر أي فئة من تلك الفئات فإنه يشمل ضمنا من لم تبلغه الدعوة لما سبق بيانه.

والأن أبدأ بعون الله تعالى بعرض أقوال العلماء بتركيز واختصار ما أمكن إلى ذلك سبيلا في حكم من مات ولم تبلغه الدعوة في الآخرة وذلك على النحو التالي:

القول الأول: أن من مات ولم تبلغه الدعوة فإن ماله إلى الجنة: استدل القائلون بهذا القول بعدد من الأدلة من الكتاب والسنة من أبرزها:

١- قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)، وغيرها من الآيات التي تفيد المعنى نفسه وهي كثيرة).

٢- قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين»فقالوا: إن هؤلاء لم تبلغهم رسالة ولا دعوة في الدنيا فهم معذورون فلا يعذبهم الله عز وجل ومصيرهم إلى الجنة. وقالوا أيضا: إن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يمتحنون بالآخرة؟!

ومن أبرز من قال بهذا القول:

1- القاضي ابن عبد البر القرطبي رحمه الله في تجريد التمهيد

٢- الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله، فقد قال العلامة الألوسي رحمه الله: «قال حجة الإسلام الغزالي الناس بعد بعثته عليه الصلاة والسلام أصناف، صنف لم تبلغهم دعوته ولم يسمعوا به أصلا فأولئك مقطوع لهم بالجنة...» .

٣- الإمام أبو عبد الله محمد القرطبي في تفسيره, بقوله رحمه الله: «وأما ما روي من أن الله

تعالى يبعث إليهم يوم القيامة وإلى المجانين والأطفال فحديث لم يصح، ولا يقتضي ما تعطيه الشريعة من أن الآخرة ليست دار تكليف... ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل والله أعلم» .

4- العلامة على العدوي المالكي رحمه اللهم يقوله في حاشيته: ومن لم تبلغه دعوة وفي حكمه الصبي والمجنون إذ الرسول في حقهما كالعدم فيصدق عليهما أنهما لم يبعث لهما رسول فالآية دليل للثلاثة،

وفي الآية دليل على أن أهل الفترة لا يعذبون وهم في الجنة) . .

5- العلامة جلال الدين السيوطي. بقوله رحمه الله: (وقد أطبق أئمتنا الشافعية والأشعرية على أن من لم تبلغه الدعوة لا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)).

القول الثاني: أن من مات ولم تبلغه الدعوة فإن مآله إلى النار:

استدل القائلون بهذا القول بعدد من الأدلة من الكتاب والسنة منها:

1- قوله تعالى: (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، وغيرها من الآيات التي تبين أن من مات كافرا فإن مصيره إلى النار

٢- قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه أنسرضي الله عنه : «أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار. فلما في دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار)

فقالوا: إن كل من مات على الكفر فهو في النار ولو لم ياته نذير، واستدلوا بظواهر الآيات القرآنية التي سبقت الإشارة إلى بعضها، وقالوا أيضا: إن جميع هذه الآيات تدل على العموم؛ لأنها لم تخصص كافر دون كافر؛ بل ظاهرها شمول جميع الكفار .

ومن أبرز من قال بهذا القول:

ا- الخوارج: كما نقل ذلك عنهم الإمام ابن حزم وغيره بقوله رحمه الله: «وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج: إنه في حين بعثة النبي لا يلزم من في أقاصي الأرض الإيمان به، ومعرفة شرائعه، فإن ماتوا في تلك الحال ماتوا كفارة، ويبطل هذا قول الله عز وجل: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها))، وليس في وسع أحد علم الغيب).

٢- المعتزلة والماتوريدية, يقولهم: لا عذر لأحد من الخلق في جهله معرفة خالقه وتوحيده وعليه أن يستدل بعقله لمعرفة الحسن من القبيح، فما استحسنه العقل فهو حسن، وما قبحه العقل فهو فيح، فالعقل كاف لقيام الحجة على الشخص، ولو لم تبلغه الرسالة".

القول الثالث: أن من مات ولم تبلغه الدعوة امتحن في الآخرة فإن أطاع دخل الجنة وإن عصى دخل النار

استدل القائلون بهذا القول بالحديث الذي رواه الأسود بن سريع رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اربعة يحتجون يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: قد جاء الإسلام وما اسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الذي مات في

الفترة فيقول: ربي ما أتاني لك من رسول. فياخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما»

وهناك أحاديث أخرى استدل بها القائلون بهذا القول ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله، والحافظ ابن كثير رحمه الله لم أنكرها طلبا للاختصار

ومن أبرز من قال بهذا القول:

١- شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله رحمه الله في أثناء حديثه عن أطفال المشركين: والأكثرون يقولون: «لا يجزي على علمه بما سيكون حتى يكون، فيمتحنهم يوم القيامة، ويمتحن سائر من لم تبلغه الدعوة في الدنيا فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار. وهذا القول منقول عن غير واحد من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم»).

وقال رحمه الله: «فمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا امتحن في الآخرة ولا يدخل النار إلا من اتبع الشيطان»

:وقال أيضا رحمه الله: «وهذا التفصيل -أي القول بالامتحان - يذهب الخصومات التي كره الخوض فيه لأجلها من كرهه. فإن من قطع لهم بالنار كلهم، جاءت نصوص تدفع قوله، ومن قطع لهم بالجنة كلهم، جاءت نصوص تدفع قوله »

٢- الإمام ابن القيم بقوله رحمه الله: «المذهب الثامن: أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة ، فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها»

وقال أيضاً رحمه الله بعد أن ذكر عددا من الأحاديث التي تؤيد هذا القول: «فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا وتشهد لها أصول الشرع وقواعده، والقول بمضمونها هو مذهب السلف والسنة»

وقال أيضا رحمه الله: بعد أن رجح هذا القول: «وهذا قول جميع أهل السنة والحديث حكاه الأشعري عنهم»

٣- الحافظ ابن كثير بقوله رحمه الله بعد أن أسهب في الحديث عن المسالة مرجحا لهذا القول: «وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها البعض. وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد »

4- الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله رحمه الله: «وقد صحت مسالة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة... ثم قال رحمه الله: قال النووي: وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحقون لقوله تعالى: (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ، وإذا كان لا يعذب غير العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فكن لا يعذب غير العاقل من باب أولى»

5- العلامة محمد الأمين الشنقيطي بقوله رحمه الله بعد أن رجح القول بالامتحان: وإنما قلنا:

إن هذا هو التحقيق في هذه المسألة لأمرين:

الأول: أن هذا ثبت عن رسول الله، وثبوته عنه نص في محل النزاع؛ فلا وجه للنزاع البتة مع ذلك... الثاني: أن الجمع بين الأدلة واجب متى ما أمكن بلا خلاف؛ لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهماء ولا وجه الجمع بين الأدلة إلا هذا القول بالعذر والامتحان؛ فمن دخل النار فهذا الذي لم يتمثل ما امر به عند ذلك الامتحان، ويتفق بذلك جميع الأدلة، والعلم عند الله تعالى».

وبعد ذكر هذه الأقوال الثلاثة يظهر والله اعلم بالصواب أن القول الثالث هو أرجحها، القوة أدلتهم وصحتها وصراحتها في الامتحان، ولغير ذلك من المرجحات التي تقدم ذكرها في أثناء عرض أقوال العلماء الذين قالوا بهذا القول، إضافة إلى أنهم أجابوا إجابات علمية مقنعة على أدلة القائلين بالقولين الأول والثاني والله تعالى أعلم وأحكم..

المبحث الثالث

(مسؤولية المسلمين في العصر الحاضر لإبلاغ الدعوة لغير المسلمين)

بعد الحديث عن أهمية وجود مؤسسات دعوية، وواقع إبلاغها للدعوة لغير المسلمين، ومن ثم حكم من لم تبلغه الدعوة سواء في الدنيا أو الأخرة، ياتي الحديث مناسبأ عن مسؤولية المسلمين في العصر الحاضر للقيام بإبلاغ الدعوة لغير المسلمين على أكمل وجه وأحسن حال، سواء أكانت المسؤولية على مستوى المؤسسات التي جعلت من أولويات اهتماماتها القيام بالدعوة إلى الله تعالى، أو كانت المسؤولية تخص كل فرد مسلم أكرمه الله عز وجل بالانتساب إلى هذا الدين العظيم.

وفي هذا المبحث سأحاول إن شاء الله تعالى الحديث عن هذه المسؤولية من خلال المطلبين التاليين: المطلب الأول: مسؤولية المؤسسات الدعوية الإبلاغ الدعوة لغير المسلمين

المطلب الثاني: مسؤولية الأفراد لإبلاغ الدعوة لغير المسلمين.

المطلب الأول

مسؤولية المؤسسات الدعوية لإبلاغ الدعوة لغير المسلمين

لاشك أن المؤسسات الدعوية تقع عليها مسؤولية عظيمة للقيام بإبلاغ الدعوة لغير المسلمين وفق ضوابط شرعية تمت الإشارة إلى أهمها في المبحث الأول من هذا البحث.

وهذه المسؤولية تكمن في أمور إدارية وتنظيمية داخل أروقة المؤسسة، وأمور أخرى تمارس خارج أروقة المؤسسة تمثل مسؤوليتها الدعوية والتوجيهية.

وفي هذا المطلب سأتطرق بعون الله وتوفيقه إلى الحديث عن هذه المسؤولية من خلال الفرعين التاليين وهما:

الفرع الأول: المسؤولية الداخلية للمؤسسات الدعوية.

وسيشتمل على النقاط التالية::

1- العناية بالأداء الإداري وتطويره .

2- الاهتمام بتنمية الموارد المالية.

3- الالتزام بأصول ومبادئ العمل المؤسسي

4- الإفادة من التقنية والوسائل الحديثة في عمل المؤسسة.

الفرع الثاني: المسؤولية الخارجية للمؤسسات الدعوية. و يشتمل على النقاط التالية

1- الحرص على التخصص والواقعية في العمل الدعوي.

2- التواصل الإيجابي مع المجتمع.

3- مراعاة البيئة الثقافية والاجتماعية للمدعوين.

4 - التنسيق مع المؤسسات الدعوية الأخرى.

الفرع الأول: المسؤولية الداخلية للمؤسسات الدعوية

ينبغي لكل مؤسسة دعوية أن تعني بعدد من الأمور الإدارية والتنظيمية التي من شأنها رفع مستوى أدائها الإداري والدعوي الذي ينعكس إيجابا على فترتها لتبليغ دين الله عز وجل الغير المسلمين، ومن أبرز تلك الأمور ما يلي

أ- العناية بالأداء الإداري وتطويره

من أبرز وأهم مسؤوليات المؤسسات الدعوية العناية بالتنظيم الإداري للمؤسسة من حيث الأمرين التاليين:

ا- التخطيط السليم.

ب- تطوير الأجهزة البشرية وتنميتها ا- التخطيط السليم

لابد لكل مؤسسة دعوية من وضع خطة سليمة لعمل المؤسسة ومجال نشاطها، ومن اهم مواصفات الخطة السليمة ما يأتي:

1- أن تبني على دراسة جيدة ومتأنية ويشارك في وضعها عدد من منسوبي المؤسسة بإشراف متخصصين في مجال التخطيط

٢- أن تشتمل على أهداف عامة وأهداف مرحلية ويجب أن تكون الأهداف واضحة ومحددة 3 - أن تشتمل على وسائل وبرامج لتحقيق تلك الأهداف يمكن قياسها من خلال مؤشرات معينة وبرنامج زمني محدد يساعد على ضبطها وتقديمها. ومما يؤسف له أننا نجد عددا من المؤسسات الدعوية تضع في أهدافها مثلا: نشر الإسلام هدف عام، او تصحيح صورة الإسلام في المجتمعات غير الإسلامية، ولكن هذه الأهداف الكبيرة لا تكون موضع العناية عند تبني البرامج وتنفيذها، وهذا يسهم في عدم إنجازها وتحقيقها.

ولكننا وللأسف الشديد أننا نلاحظ أن كثيرا من النجاح الذي تتمتع به وحققته بعض الجمعيات التنصيرية يعود في جزء هام منه إلى التنظيم ومن الإدارة والتخطيط وبراعة

پ- تطوير الأجهزة البشرية وتنميتها

من أوجه العناية بالأداء الإداري للمؤسسات الدعوية رفع كفاية منسوبيها وتطويرهم، وتنمية عددهم، ولاشك أن مسؤولية منسوبي المؤسسات الدعوية تعد أكبر من مسؤولية غيرهم؛ لذا فحاجتهم للتطوير أشد من حاجة غيرهم؛ وذلك لشرف رسالتهم، وضرورة إيصالها بانجح السبل.

وتطوير الأجهزة البشرية في المؤسسات الدعوية يمكن من خلال طريقين:

1- التطوير الداخلي ويتم عن طريق إمكاناتها البشرية المتوافرة لديها والمؤهلة والتي يمكنها بقليل من

تطوير نفسها ذاتية أن تقوم بتطوير عدد من منسوبي مؤسساتها فيما بعد.

٢- التطوير الخارجي من خلال المراكز المتخصصة بالتطوير والتدريب .

فالتدريب إذا من الأمور المهمة التي يجب العناية بها من قبل مسؤولي المؤسسات الدعوية؛ لأنه من أكفي الوسائل في رفع الإنتاجية والأداء ، وتنمية القدرات والمهارات لدى منسوبي المؤسسة.

لذا فلابد من إنشاء إدارة متخصصة بالتدريب ضمن إدارات المؤسسة يكون من مهامها:

أ- تحديد الاحتياجات التدريبية لمنسوبي المؤسسة

ب- وضع خطة بعيدة المدى لتدريب جميع منسوبي المؤسسة.

ج- تقويم الدورات التدريبية التي قدمت لمنسوبي المؤسسة).

ولاشك أن لتطوير الطاقات والأجهزة البشرية في المؤسسات الدعوية آثارا حسنة من أبرزها نجاح المؤسسات الدعوية في أداء رسالتها السامية تجاه المجتمع من خلال رفع مستوى التدين لدى الأفراد ، إضافة إلى أن الصقل الذهني والسلوكي لمنسوبي المؤسسات الدعوية سوف يؤدي تلقائيا بمشيئة الله تعالى إلى القدرة على استشراف مستقبل العمل الدعوي ومعوقاته وطرق تطويره).

وإلى جانب العناية بأجهزة المؤسسة الدعوية من خلال التطوير والتدريب، لابد من الاهتمام بجانب مهم ألا وهو تنمية الموارد البشرية في المؤسسة من حيث الازدياد المطرد لمنسوبي المؤسسة، نظرا إلى ازدياد الحاجة الدعوية إليهم؛ لأن دينهم دين عالمي، ولذلك فإن رسالتهم موجهة للناس كافة: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) . فالجانب البشري في المؤسسات الدعوية عنصر مهم لتحقيق الأهداف الدينية التي تتجه نحو الإيمان بالله ورسوله الكريم ، وقبول رسالة الإسلام منهجا للحياة).

والعنصر البشري يمكنه أن يحقق التوظيف الأمثل للعناصر المادية والتنظيمية والمزج بينهما بما يحقق اقصى كفاية ممكنة، واليوم نجد أن عددا من المنظمات والمؤسسات الناجحة يرجع نجاحها بدرجة كبيرة بعد توفيق الله عز وجل إلى قدرتها على الإدارة الفعالة لمواردها البشرية وقدرتها على استقطاب واختيار موظفين ومديرين على درجة عالية من المهارة والكفاية والاحتفاظ بهم).

ومن أبرز وسائل تنمية الموارد البشرية في المؤسسات الدعوية ما يلي:

أ- إنشاء إدارة مستقلة تعنى بالموارد البشرية تكون ضمن الهيكل الإداري للمؤسسة.

ب- الحرص على استقطاب الكفايات المؤهلة من الأوساط التي تعمل فيها المؤسسة.

ج- وضع برامج التقويم منسوبي المؤسسة بصورة دورية).

٢- الاهتمام بتنمية الموارد المالية

ومن أولي مسؤوليات المؤسسات الدعوية الداخلية للقيام بإبلاغ الدعوة لغير المسلمين بصورة أمثل، العناية والاهتمام بتنمية مواردها المالية، لأنها تمثل عصب حياة المؤسسة واستمرار نشاطها.

وتكمن المشكلة في الموارد المالية بالنسبة للمؤسسات الدعوية في أنها في الغالب لا تملك مصادر ثابتة، كما أنها لا تقدم خدمات كبيرة تستحق عليها موارد جيدة، وهي بهذه الصورة تعتمد بشكل كبير على التبرعات التي تصلها عن طريق الأفراد، أو المؤسسات الرسمية أو التجارية. ومشكلة هذا المورد أنه غير ثابت فيصعب الاعتماد عليه في إعداد الموازنات وإقامة الخطط والمشروعات لعدم ضمانه).

لذا يجب على المؤسسات الدعوية الاهتمام بهذا الجانب والسعي الجاد لتنمية مواردها المالية من خلال ما يلي:

أ- إيجاد مصادر مالية تتسم بالثبات والاستمرارية منها الأوقاف والاستثمارات الثابتة في المباني وغيرها.

ب- التسويق الصحيح لنشاطات المؤسسة من خلال التعريف بها واعمالها وإنجازاتها.

ج- فتح مجال التعاون والاشتراك في المشروعات مع جهات ذات قوة مالية متميزة وهمها تحقيق أهداف المؤسسة الدعوية على أن تتولى تلك الجهات جانب التمويل، وتتولى المؤسسة الدعوية جانب الإشراف والتنفيذ.

د- العناية بالدراسة المالية الجيدة للمشروعات الدعوية التي تقدمها المؤسسة وهذا يؤدي إلى الترشيد في الاستهلاك مع الحفاظ على نوعية المستوى الدعوي المقدم).

٣- الالتزام بأصول ومبادئ العمل المؤسسين

المؤسسات الدعوية كغيرها من المؤسسات سواء الرسمية أو التجارية- ينبغي لها أن تلتزم باصول ومبادئ العمل المؤسسي؛ بل إنها هي أولى من غيرها؛ لأن غايتها تحقيق رضي الله عز وجل من خلال خدمة الإسلام ونشره بين الناس.

ومن أبرز أصول ومبادئ العمل الذي يجب على المؤسسات الدعوية العناية به والحرص عليه؛ كي تحقق أهدافها وتصل إلى أفضل النتائج التي ترجوها ينبغي لها الالتزام بما يأتي:

أ- إخلاص النية لله تعالى، وأن يستشعر جميع منسوبي المؤسسة عظم الأمانة الملقاة على كواهلهم، وحجم المسؤولية، المناطة بهم، وأن الدعوة إلى الله عز وجل رسالة ينبغي لهم تأديتها، وليست مجرد وظيفة يتقاضون عليها أجراً مادية . وهذا الشعور سيجعلهم أكثر إخلاصا من غيرهم في تأدية عملهم، وتقديم مصلحة عمل المؤسسة على مصالحهم الشخصية، والتنازل والتغاضي عن بعض الأخطاء والتجاوزات التي ترتكب ضدهم من بعض منسوبي المؤسسة سواء بقصد أو بغير قصد.

ب- الاهتمام بالعمل الجماعي في المؤسسة، وتنمية روح وثقافة الفريق الواحدة والتجانس والتعاون بين جميع منسوبيها، والحرص على الإفادة من قدرات كل فرد من أفرادها مهما كانت قدراته.

ج - عدم انفراد مدير المؤسسة بالسلطة، والعمل بمبدأ التفويض في عقد من اعمال المؤسسة، وترك المركزية في اتخاذ القرارات؛ لأن القرار الفردي سرعان ما يئيل ويموت، والحرص على تفعيل مبدأ الشورى في المؤسسة بشكله الحقيقي والبعد عن الشورى الوهمية كان يستشير المسؤول أفراد المؤسسة بعد اتخاذه القرار، ويوهمهم أن القرار لم يتخذ بعد أو يعرض رأيه في بداية الأمر بقصد التأثير على الرأي المخالف له، أو كسب التأييد لرأيه من بعض منسوبي المؤسسة بشكل خاص ومنفرد).

د- الحرص على الضبط الإداري من قبل قيادات المؤسسة وتحديد المهام لكل فرد من أفرادها، وعدم الارتجالية في إدارة أقسامها؛ لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى الإدارية، والتداخل الكبير في ممارسة الصلاحيات والمسؤوليات مما ينعكس سلبا على أدائها؛ وربما يكون ذلك سببا من

أسباب فشلها.وقد ترك بعض منسوبي الهيئات الخيرية والدعوية العمل أو التطوع فيها بسبب عدم حصولهم على الصلاحيات والمسؤوليات اللازمة لأداء مهامهم، ولذلك فهم لا يشعرون بالإنجاز أو الاستقلالية.

4ـ الإفادة من التقنية والوسائل الحديثة في عمل المؤسسة

من أوليات المسؤوليات الداخلية للمؤسسات الدعوية مواكبة العصر في الإفادة من التقنيات الحديثة والتي من أبرزها تقنيات الحاسوب والمعلومات. فلم يبق الحاسوب اليوم مجرد وسيلة لتخزين المعلومات، ومن ثم استرجاعها؛ بل تعدى ذلك ليصبح من أهم وسائل التعليم ونشر العبادى والأفكار إضافة إلى التجارة والترفيه وغير ذلك، وهذا ما جعل الشعوب تحرص على الإفادة منه حرصا كبيرا وملحوظا.

وللأسف الشديد نجد أن استخدام التقنية في بعض المؤسسات الدعوية في مجال الحاسب الآلي لا يزال محدودا إما ببرامج النصوص، أو استخدام بعض تطبيقاته اليسيرة كإعداد التقارير، وتخزين المعلومات عن المتبرعين ونحو ذلك .

لذا ينبغي للمؤسسات الدعوية أن تحرص على الإفادة من جميع تقنيات الحاسب والمعلومات المتاحة في مجال عملها،

ومن أبرز تلك الجوانب على سبيل المثال لا الحصر ما يلي

أ- استخدام البرامج التي تخدم الشؤون الإدارية بمختلف احتياجاتها، كبرامج التخطيط والتطوير، وإدارة شؤون الموظفين ونحوها.

ب- استخدام البرامج في جميع المجالات المالية والمحاسبية التي تضبط عملية دوران المال من دخوله إلى المؤسسة إلى خروجه منها التعامل الأمثل مع تقنيات الحاسب والمعلومات في مجال الدعوة إلى الله تعالى؛ لتميزها بعدد من المميزات من أهمها:

1- سهولة النقل والتواصل المباشر بين الملقي والمتلقي.

2- إمكانية العمل على مدار الساعة بلا توقف

3- القيام بالدعوة إلى الله تعالى من خلال إمكانيات مادية وبشرية محدودة، وهذا يوفر المال والجهد

والوقت للمؤسسات الدعوية التي هي بأمس الحاجة إليها.

4- الوصول إلى أعداد كبيرة من الناس .

فالدعوة إلى الله تعالى عبر شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» تتيح الاتصال بشريحة واسعة من المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية من خلال عدد من الوسائل كالبريد الإلكتروني الذي يتميز بعدد من المزايا، كسرعة الوصول، وانخفاض التكلفة المالية، وإمكانية إرسال مرفقات صوتية وكتابية.

ومن الوسائل أيضا المشاركة في المنتديات، ونقل وتبادل الملفات، إضافة إلى وسيلة التخاطب المباشر عبر لوحة المفاتيح وتعرف ب (الدردشة) أو (الاجتماع الإلكتروني)، وكذلك وسيلة الاتصال المرئي التي تمكن مستخدميها من الالتقاء على شاشات الحواسيب بالصوت

والصورة، وإجراء الحوار والمناقشات المختلفة،

ولهذا كله فعلى المؤسسات الدعوية أن تواكب هذا التطور في المجتمعات المعاصرة فتقوم بحوسبة برامجها وأعمالها الدعوية عبر الإنترنت، وهذا يتطلب تأهيل وتدريب الدعاة والموظفين العاملين في المؤسسات الدعوية ليحسنوا التعامل الأمثل مع هذه التقنيات فيزيد في إنتاجية تلك المؤسسات كما وكيفة.

الفرع الثاني: المسؤولية الخارجية للمؤسسات الدعوية :

حين تقوم المؤسسات الدعوية بمسؤوليتها الداخلية التي سبقت الإشارة إليها على أكمل وجه وأحسن حال فإن ذلك مما يسهم بإذن الله تعالى في إنجاح المسؤوليات الخارجية لتلك المؤسسات التي ينبغي لها العناية بها لتتمكن من نشر دين الله عز وجل وإبلاغه لغير المسلمين بايسر الطرق وأنجعها،

وتتمثل أبرز تلك المسؤوليات بما يلي

١. الحرص على التخصص والواقعية في العمل الدعوي:

يقول الله عز وجل: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)". قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي: أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصداً واحدة، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق، وتعت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور .

فالمؤسسة الدعوية تبقى لكي تنجح في عملها وتبدع فيه- بحاجة إلى أن نتخصص في المكان الذي تعمل فيه إضافة إلى طبيعة العمل الذي تمارسه، وهو ما يعرف بالتخصص الجغرافي والموضوعي. فلدى بعض المسلمين حرص شديد وحماسة عظيمة في الدعوة إلى الله قد تدفعهم عند تأسيس المؤسسات الدعوية إلى أن يدرجوا في نظامها الأساسي أشياء متفرقة ومختلفة كالتعليم والإعلام والإغاثة ونحوها، فيغرق العاملون فيها جميعا وقد يخفقون فيها كلها, وهذا يتسبب في إهدار الطاقات والأموال؟). فلابد إذا من الواقعية في مجال العمل وعدم التوسع الخيالي فلا تتمكن المؤسسة من التركيز على شيء معين.وهذا يتطلب من المؤسسات الدعوية أن تقوم بناء على رؤية مدروسة متخصصة وأهداف محددة، ويجب عليها العمل في ضوء الرؤية والرسالة والسعي إلى تحقيق الأهداف المنوطة بها، والبعد عن أعمال ونشاطات بعيدة عن مهامها تؤثر على كفاية إدارتها في تحقيق أهدافها، وبخاصة أن الواقع يثبت أن بعض المؤسسات الدعوية تسهم في كل مجال ولو كان بعيدة كل البعد عن اهدافها من منطلق وجود حاجة المجتمع يجب سدها .

ولاشك أن التخصص يؤدي إلى فوائد كثيرة منها: توفير الموارد المالية؛ لأن التركيز على مشاريع محددة وبرامج معينة تحقق اهداف المؤسسة يوفر هذه الموارد ويوجهها ويساعد على توظيف طاقات العاملين

ومن فوائد التخصص أيضاً تنمية مهارات العاملين في المؤسسة في مجال معين وإكسابهم الخبرات المتراكمة في تلك المجالات

ومما يؤسف له أن عددا من المنظمات التنصيرية تحرص على التخصصية الفائقة الدقة في التنصير، فنجد من تخصص في تنصير قبيلة في ادغال افريقية، أو اخرى في أواسط آسيا، أو أخرى لتنصير عرقية محددة في أقصى سيبيريا، ولذلك يترجمون الإنجيل خصيصا بلغة تلك القبيلة او العرقية ويطبعون الكتب التنصيرية لنشرها بينهم، وتقام الدورات المكثفة لتعليمهم لغات تلك القبائل وعاداتها ونحو ذلك مما يساعد على تنصيرها".

لذا فإن المؤسسات الدعوية أولى من غيرها بالحرص على التخصص والواقعية في العمل الدعوي

٢- التواصل الإيجابي مع المجتمع

من المسؤوليات الخارجية المناطة بالمؤسسة الدعوية أن تتواصل تواصلا إيجابية مع المجتمع الذي تعمل فيه ويحيط بها من كل الجوانب والتواصل الإيجابي له أشكال وأنماط متعددة ربما تختلف من مجتمع إلى آخر ومن بلد إلى آخر، وبناء على ذلك لا يمكن تحديد أشكال التواصل الإيجابي مع المجتمع بصورة قطعية ليعمل بها في كل الأماكن والمجتمعات التحقق المؤسسات الدعوية ذلك التواصل الإيجابي المطلوب،

ومن أهم اشكال التواصل المقترحة ما يلي:

١- توطيد العلاقة وتقوية الروابط مع مؤسسات المجتمع الحكومية والأهلية من خلال الزيارات وغيرها من الوسائل المناسبة، وهذا يسهم في مساعدة المؤسسة الدعوية للقيام بكل أعمالها وعدم تعرضها للتأخير؛ وربما للمنع والإلغاء والمضايقة بكل أشكالها.

٢- مد جسور من التعاون مع المجتمع في عدد من المجالات وبخاصة الاجتماعية والثقافية والإعلامية. كتنظيم أيام مفتوحة تحتوي على عدد من البرامج الهادفة والمتعة في الوقت ذاته، وتقديم عدد من الجوائز والهدايا وتغطية ذلك إعلامية بصورة متميزة

٣- الحرص على كسب ثقة المجتمع بكل شرائحه من خلال المساعدة في تقديم خدمات أساسية تحتاج إليها وتسهم في تنمية وتطويره

4 - العناية الخاصة بالوجهاء، وزعماء القبائل والعشائر، من خلال احتوائهم والحرص على تأليف قلوبهم بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع مكانتهم الاجتماعية وقد كان هذا من هدي النبي صلى الله عليه وسلم , فقد أعطى يوم حنين مائة من الإبل لكل من الأقرع بن حابس وهو من زعماء تميم، وعيينة بن حصن وهو من زعماء غطفان وغيرهما رضي الله عنهما.

وكان يعطي الوفود التي تقدم عليه في المدينة وهم من علية أقوامهم- ولما حضرته الوفاة صلى الله عليه وسلم أوصى المسلمين بثلاث وصايا كان منها: «أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»

ولاشك أن الإسلام زعيم القبيلة، وسيد القوم أثرا عظيما في إسلام قومه، ومما يدل على ذلك موقف سعد بن معاذ رضي الله عنه لما أسلم على يد مصعب بن عميررضي الله عنه ذهب مباشرة إلى قومه وقال لهم: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا

وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلم ومسلمة»

. 4- مراعاة البيئة الثقافية والاجتماعية للمدعوين

مما ينبغي للمؤسسات الدعوية في أثناء قيامها بالدعوة إلى الله تعالى في مكان أو مجتمع معين أن تراعي الوسط الذي يعيش فيه ذلك الإنسان. وهو ما يعبر عنه بالبيئة الثقافية والاجتماعية، فكل مكان أو مجتمع له بيئة ثقافية واجتماعية ربما تختلف عن غيره من الأمكنة والمجتمعات، وهذا يحتم على المؤسسات الدعوية أن تختار لكل مجتمع ما يتناسب معه من وسائل وأساليب دعوته.

ومراعاة أحوال المدعو وأخذها بعين الاعتبار لها سند شرعي في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم وغيرهم من سلف الأمة رحمهم الله .

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل له لما بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب...» قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان»

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «حدثوا الناس بما يعرفون. أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟».

فلابد للداعية من مراعاة مستوى فهم الناس عند التحدث إليهم لئلا يترتب على ذلك إعراض المدعو وصدوده كلية عن الإسلام.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولابد من العلم بحال المامور والمنهي»؛ فالداعية إذا لم يكن على علم بحال المدعو ربما أمره بأمر اونهاه عن فعل أمر فكان ذلك سببا في انحراف المدعو وعدم قبوله لتلك الدعوة

ولذلك لما اشترط وفد ثقيف على النبي - حين أرادوا أن يسلموا أن لا صدقة عليهم ولا جهاد، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم وقال: «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا »

ولأجل كل ما سبق ينبغي للمؤسسات الدعوية إذا أرادت أن تعمل في مكان أو مجتمع معين أن تتعرف عليه قبل توجيه الدعوة إليه من حيث أحواله، وعاداته وتقاليده، ومستوى ثقافته، وطريقة تفكيره، ونحو ذلك مما يكون سببة في نجاح دعوته بإذن الله تعالى. فبلد من البلدان أو مجتمع من المجتمعات مستوى ثقافته جيد، وله اهتمام بالمقروء والمكتوب، فهذا يناسبه الإكثار من الوسائل الدعوية المقروءة من كتب ومطويات ونحوها من الوسائل الدعوية الحديثة كالإنترنت ومراسلته عبر البريد الإلكتروني ونحو ذلك.أما إذا كان ذلك المجتمع ضعيف الثقافة ، وتنتشر فيه الأمية والجهل فليس من المناسب استخدام الوسائل الدعوية المقروءة معه، بل لابد من الحديث المباشر معه سواء من قبل الدعاة، أو استخدام الأشرطة المرئية أو المسموعة

إضافة إلى ذلك ربما يكون من المناسب في مجتمع من المجتمعات التركيز على الجوانب الإعلامية بشتى أنواعها لشدة متابعته واهتماماته بذلك.وفي المقابل نجد أن من المناسب في مجتمع آخر التركيز على الجوانب الاجتماعية من حيث عقد اللقاءات الاجتماعية، وتقديم

الخدمات الصحية، والإغاثية ونحوها، مما يلامس احتياجاته ويلبي رغباته

5. التنسيق مع المؤسسات الدعوية الأخرى

من أبرز المسؤوليات الخارجية للمؤسسات الدعوية التنسيق والتعاون مع غيرها من المؤسسات الدعوية التي تعمل في مجالها الموضوعي أو الجغرافي، لما لهذا الأمر من أهمية بالغة وحاجة ماسة، إضافة إلى تعدد ثمراته وفوائده على المؤسسات الدعوية نفسها، وطبيعة عملها.

والتعاون على ما فيه الخير ومصلحة الإسلام والمسلمين مطلب شرعي امر الله به كما في قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)). والمسلم مطالب بتقديم المصالح الشرعية على رغباته الشخصية، ولهذا اثنى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا لمن اتصف بهذه الصفة بدخول الجنة فقال صلى الله عليه وسلم : (طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث راسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع»، فهذا المرء لا يهمه اين يكون، ولا كيف يكون؛ بل المهم لديه أن يؤدي مهمة تخدم دين الله عز وجل وتعلي شانه

فإذا ما أدرك منسوبو المؤسسات الدعوية هذه الحقيقة وقدموا مصلحة الإسلام والمسلمين على مصلحة مؤسستهم الخاصة، ورغباتهم الشخصية وحظوظ أنفسهم، وكانت رغبتهم في التنسيق والتعاون مع غيرهم رغبة صادقة وقائمة على الثقة المتبادلة بينهم، فإن دعوتهم ستنتشر، ويعم نفعها، ويكثر عطاؤها، وتعظم ثمرتها بإذن الله تعالى

وحاجة المؤسسات الدعوية إلى التنسيق والتعاون فيما بينها حاجة ملحة؛ لسعة حجم عملها وتنوعه، إضافة إلى ضعف مواردها المالية، وقلة أجهزتها البشرية وندرتها في بعض الأحيان.

ومجالات التنسيق والتعاون بين المؤسسات الدعوية يسيرة ومتعددة بفضل الله تعالى ومن أبرزها ما يلي

١- الجوانب العلمية

جميع المؤسسات الدعوية بحاجة إلى أقسام أو لجان علمية تضبط مسارها العلمي وتوجهه الوجهة الشرعية القائمة على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالتنسيق بين المؤسسات الدعوية في هذا المجال يوحد الجهود، ويمنع التكرار، ويتيح فرصة أكبر للارتقاء بالمنتج العلمي، فالعمل الذي يكون نتاج مؤسسة واحدة ، ليس مثل العمل الذي تنتجه عقول الجميع.

ومجالات التنسيق في الجوانب العلمية متعددة من أهمها ما يلي:

أ- التنسيق في بحث المسائل العلمية المستجدة المتعلقة بمجال الدعوة إلى الله تعالى، وتأصيلها تأصيلا شرعيا، وجمع فتاوى العلماء بشأنها، وفي حالة عدم وجودها السعي إلى استصدارها

ب- التنسيق في مجال التأليف والترجمة، فالمؤسسات الدعوية بحاجة إلى الوسائل الدعوية المقروءة، من كتب ومطويات ونحوها، وبخاصة أنه في كثير من الأحيان لا يوجد لها معالجة

مناسبة في المتوفر من الكتب فتضطر إلى التأليف ومن ثم الترجمة، وهذا العمل يتطلب جهدا كبيرا، وعملا مضنيا، فجانب التنسيق يوفر كثيرا من الوقت للمؤسسات الدعوية، ويرتقي بالمؤلف والمترجم من خلال تنوع الخبرات وتعددها.

ج- التنسيق في مجال الطباعة، وهذا يؤدي إلى زيادة الكميات المطلوبة من المنتج، ويسهم في تخفيض تكاليف الطباعة مع المحافظة على مستوى الجودة والنوعية

وإذا كان مجال التنسيق أكبر وأقوى فريما سعت المؤسسات الدعوية إلى تملك مطابع خاصة بها، وهذا بلا شك خيار أنسب وأكثر فائدة.

٢- الجوانب الإدارية والمالية

الجوانب الإدارية والمالية تمثل العمود الفقري للمؤسسات الدعوية، فوجود الضعف أو القصور فيها يؤدي إلى خلل وإرباك في طبيعة عملها. يؤثر تأثيرا مباشرة على مخرجاتها المختلفة.

ومع ذلك وللأسف الشديد نجد بعض المؤسسات الدعوية تفتقر إلى لوائح إدارية ومالية تنظم عملها، وتحدد مهام ومسؤوليات وحقوق موظفيها.

فالتنسيق بين المؤسسات الدعوية في الجوانب الإدارية والمالية بعد ضرورة ينبغي العناية بها والسعي الجاد إلى تحقيقها.

ومن أهم مجالات التنسيق في الجوانب الإدارية والمالية ما يلي: :

أ- إيجاد برامج حاسوبية تخدم الشؤون المالية والإدارية باحتياجاتها المختلفة بما يتناسب مع لوائحها وأنظمتها الداخلية والبرامج الحاسوبية المتقنة تتطلب مزيدا من النفقات المالية إضافة إلى الأجهزة البشرية ذات الخبرة والكفاية العالية، وهذا ربما لا يتاتى لمعظم المؤسسات الدعوية فجانب التنسيق يتيح لها الإفادة من هذه البرامج بأقل جهد وكلفة ممكنة

ب إعداد وبناء قواعد للمعلومات تسهم في تيسير التخطيط وتسهيله، إضافة إلى تمكين المؤسسات الدعوية من رسم الرؤى المستقبلية لعملها. ويمكن أن تشتمل قواعد المعلومات على أمور متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر

١- معلومات عن الميادين المكانية لعمل المؤسسات الدعوية من حيث السكان وجميع ما يتعلق بهم من لغات، وعاداته وتقاليد، إضافة إلى حجم العمل المغرض في تلك الأماكن من المنصرين، أو الطوائف الضالة، وهذا يتيح لتلك المؤسسات الوقوف على الفرص المتاحة أمامها والمخاطر المتوقعة فيها

٢- معلومات عن العلماء والدعاة وطلبة العلم من أبناء تلك البلدان الذين يمكن

الإفادة منهم في الأعمال المختلفة للمؤسسات الدعوية، إما بالتعاون الجزئي أو التوظيف الكلي، وهذا العمل يوسع دائرة الاستفادة منهم بشكل أفضل وأكبر ويمنع الازدواجية في تعيين الدعاة في أكثر من مؤسسة دعوية من دون علم إحداها عن الأخرى.

وفي الحقيقة جوانب التنسيق ومجالاته بين المؤسسات الدعوية متعددة ومتنوعة يصعب حصرها فهناك - إضافة إلى ما ذكر الجوانب التعليمية، والقانونية، والإغاثية، وغيرها مما يتعذر الحديث عنها كلها في مثل هذا البحث, لكن حسبي أنني تحدثت عن مجالين من تلك

المجالات لإبراز أهمية التنسيق بين المؤسسات الدعوية، وشدة الحاجة إليه، وعظم نوانده وثمراته، ولا يعني هذا بطبيعة الحال عدم اهمية بقية الجوانب والمجالات.

ولعل المؤسسات الدعوية الرسمية والأهلية تتجاوز التنظير إلى المبادرة العملية لتحقيق هذا المطلب الملح من خلال إنشاء لجنة تنسيقية عالية للمؤسسات الدعوية ينبثق عنها عدد من اللجان الفرعية التي تتخصص في مجال من مجالات التنسيق والتعاون.وريثما يتحقق هذا الهدف العظيم، والأمل الكبير، نرجو أن تبادر المؤسسات الدعوية إلى تبادل الخبرات من خلال تبادل التقارير والإنجازات عن أدائها الدعوي بكل وضوح وشفافية، فهذا يقلل الفجوة بينها، ويرتقي بأدائها، ويعود بالنفع العظيم على الدعوة الإسلامية، وإبلاغ دين الله عز وجل للناس كافة.

المطلب الثاني

مسؤولية الأفراد لإبلاغ الدعوة لغير المسلمين

إن مسؤولية الدعوة إلى دين الله تعالى وإبلاغ هذا الدين للناس كافة ليست حكرا على جهة، أو مؤسسة، أو دولة بعينها دون غيرها ؛ بل هي مسؤولية الجميع من الأفراد والمؤسسات والدول.

وفي هذا المطلب ساتناول بعون الله تعالى إيضاح مسؤولية الفرد المسلم الإبلاغ الدعوة الغير المسلمين من خلال النقاط التالية:

1- استشعار أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها ووجوب نشرها.

2- إعداد الفرد المسلم لذاته وتأهيلها للقيام بالدعوة إلى الله تعالى. .

3- مشاركة المؤسسات الدعوية ودعمها بوسائل الدعم المختلفة.

4- ممارسة الدعوة الفردية وإعانة الآخرين على القيام بهاء

1- استشعار أهمية الدعوة إلى الله تعالى وفضلها ووجوب نشرها

إن الفرد المسلم متى ما استشعر أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وحاجة الناس إليها لينالوا السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة, واستحضر أيضا فضل الدعوة إلى الله تعالى وما أعده الله عز وجل للدعاة إلى سبيله من الأجر العظيم، والخير العميم كقوله تعالى: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) ، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا).

فمتى استحضر المسلم هذا الفضل الكبير وأن أجره سيكون مثل أجور من تبعه واهتدى بهديه، وأن هذا الأجر لا ينقطع بوفاته بل هو منتفع به إلى يوم الدين... إذا ما استحضر هذا الأمر فلاشك أنه سيحرص على الدعوة إلى الله تعالى في جميع أحواله وأوقاته.وكم يأسف المسلم حين يرى غير المسلمين يدعون إلى أديانهم المحرفة ويبذلون قصارى جهودهم لنشرها بين الناس من خلال التطوع ضمن المنظمات التنصيرية وغيرها من المؤسسات التي تقدم مختلف الخدمات التي يحتاج الناس إليها،

وعلى سبيل المثال، وحسب إحصائيات سنة 1994م. في الولايات المتحدة الأمريكية تطوع أكثر من (9402) مليون شخص، وكان معدل ما تطوع به الفرد الواحد من ساعتين إلى اربع ساعات أسبوعية، وكانت موازية لعمل تسعة ملايين موظف). ولاشك أن المسلم الذي لديه يقين تام بما عند الله عز وجل من الأجر والفضل، اولى من غيره بالحرص على التطوع وخدمة دين الله عز وجل.

2 - إعداد الفرد المسلم لذاته وتأهيلها للقيام بالدعوة إلى الله تعالى:

من المسؤوليات الملقاة على عاتق الفرد المسلم الإبلاغ هذا الدين إلى الناس كافة أن يسعى لإعداد نفسه وتاهيل ذاته بمختلف أنواع الإعداد سواء كان علميا، أو إدارية، أو فنيا. في الجانب العلمي لابد أن يحرص على طلب العلم الشرعي والاستزادة منه، والتعمق فيه؛ ليتمكن من إفادة الناس وتثقيفهم في دين الله تعالى أما في الجانب الإداري فيحرص على تطوير نفسه، وصقل مهاراته من خلال الحصول على دورات متعددة ترفع من مستوى كفايته الإدارية.

أما ما يتعلق بالجانب الفني، فعليه أن يحسن التعامل مع وسائل التقنية الحديثة ليتمكن من خلالها من ممارسة الدعوة إلى الله تعالى والوصول إلى كل أنواع المدعوين مهما قربت أو بعدت أوطانهم

ومن أبرز جوانب إعداد الفرد المسلم لذاته للقيام بالدعوة إلى الله عنايته بجانب القدوة الحسنة؛ لأن تأثر الناس بالأفعال والسلوك غالبا ما يكون أشد من تأثرهم بالأقوال فقط

لذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يأمر بشيء إلا فعله ولا ينهى عن شيء إلا تركه حتى اشتهر عنه هذا الأمر فعرفه الداني والقاصي، حتى إن ملك عمان لما دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له...»

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بافعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم:

لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا لكانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة ادلاء وفي الحقيقة أطاع طرق»). : فمن ينتسب إلى الإسلام ويلتزم به يم شهادة لهذا الدين، ومن ينتسب إلى الإسلام ولا يلتزم به قم شهادة عليه، يفتتن بها غير المسلم فتصده عن قبول الحق، وقد قال الحق عز وجل: (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) "

يقول أحد الذين هداهم الله إلى الإسلام: «والدي لم يدخل في الإسلام إلى الآن، ولذلك أسباب، فوالدي يعمل في البحرية الأمريكية وكان يعمل معه عدد من العرب المسلمين، ولكن كان سلوكهم سيئة فهم يصلون الجمعة فقط، وفي باقي أيام الأسبوع يتعاطون الخمر، ويمارسون الزنا وهو محرم في دينهم، ويصومون رمضان، أما باقي الشهور فلا ترى أي أثر للإسلام عليهم، لذلك فقد ارتبط الإسلام في عقل والدي بصورة هؤلاء العرب؛ وكره الإسلام»

٣- مشاركة المؤسسات الدعوية ودعمها بوسائل الدعم المختلفة

المؤسسات الدعوية في ظل قلة مواردها المالية، وندرة طاقاتها البشرية المتفرغة تفرغة كاملا للقيام بأعمالها الدعوية المختلفة، بحاجة إلى تعاون ومشاركة كل فرد مسلم مهما كانت

مواصفاته وقدراته العلمية والعملية.

ومن أبرز صور ذلك التعاون المنشود، وتلك المشاركة المطلوبة ما يلي

أ- تخصيص الفرد جزءاً من وقته للمشاركة في برامجها ونشاطاتها المختلفة سواء كانت دعوية أو إدارية أو غيرها.

ولاشك أن هذه المشاركة تتفاوت من شخص إلى آخر بحيث يمكن لبعضهم المشاركة اليومية، ولبعضهم الآخر المشاركة الأسبوعية، وربما لا يستطيع بعضهم المشاركة إلا في البرامج الموسمية والإجازات الصيفية.

والمهم في الأمر أن الفرد يشعر بضرورة المشاركة وأهميتها مهما ضعفت أو قل زمنها . مادام الفرد مواظبا عليها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل)

ب- ومن صور مشاركة الفرد للمؤسسات الدعوية ومسؤوليته تجاهها التعريف بها من حيث أهدافها، وطبيعة عملها، وإبراز إنجازاتها وثمراتها للناس من خلال الوسائل المختلفة سواء كانت إعلامية، أو اجتماعية أو غيرها، وهذا مما يسهم في تطويرها، وتنمية مواردها المختلفة

ج- ومن صور التعاون المطلوبة أيضا من الفرد المسلم دعم المؤسسات الدعوية ماديا إما بشكل مباشر، بحيث يستقطع جزءاً من مرتبه شهرية لها، أو بشكل غير مباشر فيحث التجار والموسرين على دعمها، والتبرع لمشاريعها المختلفة، ويسعى لإيجاد أوقاف يخصص ريعها لها، ويجب الا ينسى قول النبي صلى الله عليه وسلم : «من دل على خير فله مثل أجر فاعله

ولا ريب أن إعانة المؤسسات الدعوية في هذا الجانب يتيح لها التفرغ التام للقيام باعمالها الدعوية والتركيز فيها بدلا من انشغالها بتامين مواردها المالية الذي يستنزف الكثير من الجهد والوقت،

د- ومن مسؤولية الفرد المسلم تجاه المؤسسات الدعوية تقديم المشورة لها، وإبداء النصح لها، وتسديدها عند حدوث خلل أو تقصير منها، ومحاولة التماس الأعذار الشرعية لها، وعدم المبالغة في إبرازعثراتها والتهويل منها؛ لأن القائمين على هذه المؤسسات. مهما اجتهدوا وحرصوا على الجودة والإتقان, معرضون للخطا والتقصير؛ لأن عدم الوقوع في الخطأ والزل يقتضي العصمة ولا معصوم إلا أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام

ولتعدد منافع مبدا النصح وإيجابياته حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به فقال صلى الله عليه وسلم : «الدين النصيحة» فقيل لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»

وكان صلى الله عليه وسلم يشترط النصح للمسلمين على بعض أصحابه عند مبايعتهم له. كما حدث الجرير بن عبدالله رضي الله عنه حيث قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترط علي: «النصح لكل مسلم).

4- ممارسة الدعوة الفردية وإعانة الآخرين على القيام بها:

كل فرد مسلم عليه من المسؤولية تجاه إبلاغ هذا الدين والدعوة إليه حسب علمه وقدرته، يقول

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته... ثم يقول رحمه الله: وبالنسبة إلى بقية ارض الله، وإلى بقية الناس يجب على العلماء حسب طاقتهم، وعلى ولاة الأمر حسب طاقتهم، أن يبلغوا أمر الله بكل ما يستطيعون، وهذا فرض عين عليهم على حسب الطاقة والقدرة»

ومن أنواع هذه المسؤولية وصورها قيام الفرد المسلم بالدعوة الفردية بحيث يوجه الدعوة إلى فرد معين بقصد نقله من الكفر إلى الإيمان بالله عز وجل ومن المعصية إلى الطاعة

والدعوة القربية سهلة وميسرة، فيمكن أن يؤديها الفرد في كل زمان ومكان ولا تحتاج في معظم أحوالها إلى كثير علم أو فقه بقدر ما تحتاج إلى الحكمة ولو أن كل مسلم في العصر الحاضر شعر بهذه المسؤولية وقام بها لوصل الإسلام إلى أرجاء المعمورة كلها، وبخاصة في ظل انتشار المسلمين في معظم بقاع الأرض، وتوافر الوسائل الدعوية الحديثة المختلفة التي يمكن للفرد المسلم توجيه الدعوة من خلالها لمن يشاء من غير المسلمين في أي زمان ومكان.

: وكم نسمع ونقرا عن عدد ممن وفقهم الله للقيام بالدعوة الفردية من خلال الإنترنت وغيرها من الوسائل التي تعتمد على التقنية الحديثة وحققوا إنجازات عظيمة، وثمرات مباركة فهدى الله على أيديهم عشرات ومئات من غير المسلمين وإذا لم يتسن للفرد المسلم القيام بالدعوة الفردية لقلة بضاعته، أو ضيق وقته فلا أقل من أن يعين غيره بشتى الوسائل والسبل الممكنة للقيام بهذا العمل الجليل تحقيقا لمبدا التعاون على البر والتقوى.

الخاتمة

أحمد الله عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله، على تيسيره وعونه لي في إتمام هذا البحث الذي تحدثت فيه عن «أهمية المؤسسات الدعوية لإبلاغ الدعوة - الواقع والتطلعات» وتضمن مقدمة وثلاثة مباحث. .

كان المبحث الأول: عن أهمية المؤسسات الدعوية الإبلاغ الدعوة لغير المسلمين واشتمل على ثلاثة مطالب

أما المبحث الثاني: فقد خصصته للحديث عن احكام من لم تبلغه الدعوة سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة وذلك من خلال مطلبين.

وفي المبحث الثالث: حاولت التركيز على جانب يتعلق بإبراز الدور المناط بالمسلمين تجاه إبلاغ الدعوة سواء كان على مستوى المؤسسات الدعوية أو الأفراد وكان ذلك تحت عنوان: «مسؤولية المسلمين في العصر الحاضر لإبلاغ الدعوة لغير المسلمين»، واشتمل على مطلبين

نتائج البحث:

كان من أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:

1- ضرورة وجود مؤسسات دعوية في مختلف البلدان والأماكن الإسلامية وغير الإسلامية للإسهام في إبلاغ الدعوة لغير المسلمين؛ لأن حاجة البشر كلها إلى الدعوة أشد من حاجتها إلى أي شيء آخر.

٢- أهمية العمل المؤسسي وأن إبلاغ الدعوة لغير المسلمين له شروط وضوابط يجب مراعاتها حين يقوم المسلمون بتوجيه الدعوة إليهم.

3- أن واقع إبلاغ الدعوة لغير المسلمين في العصر الحاضر، على الرغم من تعدد الجهود المبذولة من المؤسسات الدعوية. لا يزال دون المستوى المطلوب والمامول الذي يتناسب مع أهمية الإسلام وحاجة الناس إليه.

4- أن من لم تبلغهم الدعوة لهم أحكام نيوية يجب على المسلمين مراعاتها والعناية بها.

5- أن القول الراجح فيما ظهر لي- في حكم من لم تبلغهم الدعوة في الآخرة أنهم يمتحنون في عرصات يوم القيامة فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار والله أعلم بالصواب

6- أن على المؤسسات الدعوية مسؤولية عظيمة الإبلاغ الدعوة لغير المسلمين، وأن هذه المسؤولية تتمثل في عدة أمور داخلية وخارجية يجب على المؤسسات الدعوية الاهتمام بها وعدم التفريط فيها.

٧- أن الفرد المسلم, مهما كانت قدراته وخبراته العلمية والعملية. مطالب بالإسهام في إبلاغ : الدعوة لغير المسلمين سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة

توصيات الباحث ومقترحاته

1- أوصي نفسي وإخواني الدعاة العاملين في المؤسسات الدعوية وخارجها بتقوى الله عز وجل، والعناية الفائقة بالدعوة إلى الله تعالى، والحرص على إبلاغها للناس كافة مقتفين في ذلك أثر إمام المرسلين وقدوة الناس أجمعين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

٢- أن تولي الدول والحكومات الإسلامية الدعوة إلى الله تعالى اهتماما خاصا من خلال إيجاد المزيد من المؤسسات الدعوية ودعمها ماديا ومعنوية.

٣- الحرص على إنشاء كراسي إسلامية في عدد من الجامعات الدولية خارج المجتمع الإسلامي ليمكن التعريف من خلالها بالإسلام وفق عقيدة أهل السنة والجماعة وفي حال صعوبة ذلك يلجا إلى إيفاد أساتذة زائرين بين الفينة والأخرى.

٤- تزويد المكتبات، والجامعات، ومراكز البحوث، في الدول غير الإسلامية بنسخ من الكتب التي تعرف بالإسلام.

5- الإفادة من وسائل الاتصال والتقنية الحديثة لإبلاغ الدعوة لغير المسلمين من خلال إنشاء مواقع للتعريف بالإسلام تتسم بالتفاعل مع روادها والتواصل الإيجابي معهم.

6- أن تتولى المؤسسات الدعوية إيجاد أرقام هواتف مجانية تعلن للجمهور يمكن الاتصال عليها من أي مكان في العالم وتكون بعدة لغات عالمية حية، من خلالها يمكن التعريف بالإسلام والإجابة عن تساؤلات المتصلين، ودلالتهم على أقرب مؤسسة أو مركز إسلامي إليهم.

٧- أن تتولى المؤسسات الدعوية الكبرى عقد مؤتمرات بصفة دورية يتم من خلالها رسم سياسة حكيمة لنشر الدعوة وإبلاغها للناس كافة

٨- أن تهتم المؤسسات الدعوية بالتواصل البناء فيما بينها والإفادة من الخبرات والتجارب : الدعوية المختلفة.

9- أن تحرص المؤسسات الدعوية على التقويم المستمر لجهود العاملين فيها إضافة إلى المراجعة الدورية لنشاطاتها وبرامجها الدعوية ومدى تقدمها أو تراجعها، وقربها أو بعدها من تحقيق الأهداف العامة للمؤسسة.

١٠- أن تقيم الجامعات الإسلامية منحة دراسية لأعداد كبيرة من الطلاب من مختلف أنحاء العالم ليتمكنوا من نشر الدعوة وتوطينها في بلدانهم.

١١-أن ترصد وتدرس المؤسسات الدعوية ما يصدر عن الكنائس والمنظمات التنصيرية من خطط ومشاريع تنصيرية؛ لتستفيد من أفكارها المناسبة ومن ثم تحاول إيجاد البرامج المناسبة للوقاية منها قبل تحقيقها على أرض الواقع،

وأسأل الله عز وجل أن يخلص نياتنا، وأن يستعملنا فيما يرضيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين